المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع والعشرين

١ يناير (كانون ٢) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢١ رمضان سنة ١٣١٩

رجال الاعمال والاموال

افتحْ كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان تجدهُ كلهُ من اولهِ الى آخرهِ ترجمات رجال الامَّة الاسلامية والبلاد الشرقية من بدء الاسلام الى ان فرغ المؤلف من تأليفهِ سنة ٦٧٢ للهجرة . وقد قال في مقدمتهِ انهُ لم يذكر فيهِ احداً من الصحابة ولا من التابعين الَّا جماعةً يسيرة وكذلك الخلفاء لم يذكر احداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب . ولم يقصر كتابهُ على طائفة مخصوصة مثل العلماء او الملوك او الامراء او الوزراء او الشعراء بل كل من لهُ شهرة بين الناس ويقع السؤَال عنهُ ذكرهُ واتى على احوالهِ وذكر من محاسن كل شخص ما يليق بهِ من مكرمة او نادرة او شعر او رسالة .وقد سمَّاهُ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان . ليطابق الاسم المسمَّى

هذا ما قالهُ ابن خلكان في مقدمة كتابهِ. واذا اضفنا اليهِ تاريخ الخلفاء للسيوطي وجب ان يكون الكتابان مرآة الامة وخلاصة تاريخها وعنوان مجدها والدليل الذي يستدل بهِ على احوالها ودرجة عمرانها. اما كتاب السيوطي فواضح من عنوانهِ انهُ خاص بالخلفاء فلا ينتظر ان يُعلَم منهُ شيء كثير عن غيرهم وغير المتصلين بهم رجالاً ونساءً.واما وفيات الاعيان فقد نظرنا فيهِ عند كتابة هذه السطور لنرى من هم في عرف مؤلفهِ الاعيان الذين لهم شهرة بين الناس ويقع السؤَال عنهم وقرأنا بعض الترجمات ترجمة ترجمة من اولهِ فوجدنا ما يلي

الاولى	ترجمة	ابرهيم النخعي الفقيه
الثانية	"	ابي ثور الفقيه
الثالثة	"	المرزوي الفقيه
الرابعة	ترجمة	الاسفرايني الفقيه
الخامسة	"	ابي اسحق الشيرازي الفقيه
السادسة	"	الخطيب ابي اسحق العراقي الفقيه

السابعة	ترجمة	ظهير الدين الفقيه	العاشرة	ترجمة	ابرهيم الصولي الشاعر
الثامنة	"	ابرهيم بن المهدي الخليفة	الحادية عشرة	"	نفطويه النحوي
التاسعة	"	ابرهيم الموصلي المغني	الثانية عشرة	"	الزجَّاج النحوي

وقد نظرنا كذلك في سيرة المئة الاولى من الذين ترجمهم المؤلف رحمهُ الله فوجدناهم ينقسمون حسب شهرتهم كما ترى في هذا الجدول

٣٢	من الفقهاء	٣	من علماء التفسير
٢٩	من الشعراء والادباء	٣	من الزهَّاد
١٧	من الملوك والامراء	٢	من المغنيين
٧	من النحاة	٢	من المؤرخين
٣	من علماء اللغة	٢	من اهل المجون والاطباء

هذا تقسيم المئة الاولى ونظن اننا لو استقرينا كل الترجمات التي في هذا الكتاب والتي في غيرهِ من الكتب العربية لوجدناها على هذا النمط وهذه النسبة اي نحو ٣٢ في المئة منها من الفقهاء ونحو ٢٩ في المئة من الشعراء ونحو ١٧ في المئة من الامراء ونحو ٧ في المئة من النحاة والباقون وهم ١٥ في المئة مفسرون ومؤرخون ومغنون واطباء وزهَّاد واهل مجون . هؤُلاء كانوا عماد الامة الذين تقوم عليهم وبهم تذكر او كما قال ابن خلكان "الذين لهم شهرة بين الناس ويقع السؤال عنهم"

أَمِن هؤُلاء وحدهم كان قوام الامم الشرقية . اين ارباب الزراعة اين ارباب الصناعة اين ارباب التجارة . كيف كانت الامة تعيش وتنمو وترتقي . كان العرب قبل الاسلام وقبل النصرانية وفي عهد ابرهيم الخليل واسحق ويعقوب والاسباط اهل زراعة وتجارة . كانت قوافلهم تمرُّ بسواحل الشام آتية الى مصر وكانت سفائنهم تمخر البحر الاحمر وبحر العرب وبحر فارس . اما المصريون والفينيقيون والاشوريون وكل الامم الشرقية التي نُشر في بلادها لواء العرب فقولنا انها كانت اممًا زراعية صناعية تجارية تحصيل حاصل لانها هي التي اوجدت الزراعة والصناعة والتجارة في الدنيا . وبقي العرب اهل تجارة يطلبون الكسب بالمتاجرة ويضربون في الافاق تجارًا حتى جاء الاسلام وصاروا يضربون فيها فاتحين . فعلى مَ لا نجد في وفيات الاعيان ولا في غيرهِ من كتب السيَر الاَّ ذكر الفقهاء والشعراء والادباء والامراء والنحاة ونحوهم . أَبهؤُلاء قوام الامَّة لا بغيرهم وهم عنوان مجدها وغيرهم بُهَّل همَل . ان قال بذلك ابناء العصر الذي كان فيهِ ابن خلكان فهل يقول بهِ ابناء عصرنا هذا ونحن نرى ارباب الزراعة والصناعة والتجارة ملكوا الخافقين . نرى الملوك يقتنون المزارع والمعامل ويشاركون الشركات التجارية في اعمالها . نرى ميازيب

الثروة تنهال على ابناء الصناع والتجار نرى قصورهم وبيوتهم ومتاحفهم وسفائنهم غاصَّة بكل علق فاخر ثمين ونحن نسل الامراء والفقهاء والشعراء والادباء عاكفون على التفاخر بالعظم الرميم وتفسير الآيات والاحاديث ونظم المدائح والمراثي . ومن حين يشبُّ اولادنا لا يرون امامهم مثالاً يقتدون بهِ ويحيكون على منوالهِ الاَّ ما يقرأونهُ في كتب السير عن فلان الفقيه وفلان الشاعر وفلان المحدّث

وقد عنَّ لنا ان نستفتح هذا الجزء وهذه السنة بسير اناس ليسوا من الامراء ولا من الفقهاء ولا من الشعراء بل من ارباب الاعمال والاموال الذين نشأُوا في عصر الامن واليهم يُنسَب جانب كبير من تقدُّم البلدان الاوربيَّة والاميركيَّة . وسننشر ترجمة واحد او اثنين في كل جزء من الاجزاء التالية واذا وقعت لنا ترجمات رجال من الوطنيين يحقُّ لهم ان يذكروا بين ارباب الاعمال والاموال لم نتأَخر عن نشرها لكي تكون انموذجًا يحتذيهِ طالبو النجاح في غير مناهج العلم والامارة . وغنيٌّ عن البيان اننا نضطر احيانًا ان نذكر ترجمة بيت كبير لان اعضاءه سائرون في خطة واحدة . واذ قد تمهَّد ذلك نتقدم الى ذكر الترجمات

(١) بيت رتشيلد

بيت رتشيلد اكبر البيوت المالية بلا مشاحَّة ولهُ العلاقة الكبرى بالحكومة المصرية لانها مديونة لهُ بملايين كثيرة من الجنيهات وعلاقتهُ بحكومات اوربا واسيا اعظم من علاقة اي بيت كان . وكلمةٌ منهُ تكفي لخراب الوف من البيوت المالية ولعمار الوف غيرها وهو عنوان الثروة والنخوة واصالة الرأي

اصل هذا البيت من مدينة فرنكفورت بالمانيا فقد نشأَ هناك تاجر صغير منذ ١٥٠ سنة وولد لهُ ولد سماهُ ماير وكان اقصى مرامهِ ان يصيرهُ حاخامًا لكنهُ لم يكن كما رام ابوهُ بل شبَّ ماهرًا في المساومة والمتاجرة فدخل في خدمة بيت اوبنهيم من صيارفة هنوفر واظهر من الحذق والامانة والاقتصاد ما جعلهُ من عداد المديرين في ذلك البيت

ثم ترك بيت اوبنهيم وعاد الى فرنكفورت واخذ يتعاطى الصرافة والتجارة واقتصر اخيرًا على الاعمال المالية : وكان النصارى يكرهون اليهود ويقاطعونهم لكن ماير هذا كان محبَّبًا اليهم لصدقهِ وامانتهِ فلقبوهُ باليهودي الامين فاثرى وصادق امير هس فأْتمنهُ على اموالهِ واستدانت منهُ حكومة الدنمارك مبالغ وافرة وكان ذلك سنة ١٨٠٤ فعظم شأْنهُ جدًّا

وحدث حينئذٍ ما فتح لهُ ينابيع الثروة وذلك ان اوربا كانت كلها قائمة على بونابرت خوفًا من بطشهِ وحاول امير هس ان ينتفع من قيامها كما انتفع غيرهُ من امراء المانيا وذلك بان يجنّد

رجال بلادهِ ويؤجرهم للانكليز لكي يحاربوا بهم بونابرت وبلغ بونابرت ما فعل فسيَّر فصيلة من جندهِ لكي تقبض عليهِ وتنهب بلادهُ فلجأَ الى الفرار وودع كل اموالهِ عند ماير رتشيلد

ولما دنت الجنود الفرنسوية من فرنكفورت علم رتشيلد انها ستدخل دارهُ لا محالة وتنهب ما فيها فاخذ اموال الامير وطمرها في قبو تحت بيتهِ واقام في البيت مقام من يحاول الاحتفاظ باموالهِ . ودخلتهُ الجنود الفرنسوية فاخذ يتوسَّل اليهم لكي يعفوا عنهُ وعن جانب من اموالهِ فعفوا عنهُ ولكنهم نهبوا اموالهُ كلها وكل ما وجدوهُ في بيتهِ. ولو اخفى اموالهُ لبحثوا عنها ووجدوها ووجدوا اموال الامير ايضاً فافتدى اموال الامير باموالهِ . ولما انصرفوا عن المدينة اخرج اموال الامير وارسلها الى ابنهِ في بلاد الانكليز وكان قد ذهب اليها فاستعملها فيها وهي اساس غناهُ

ولما عاد الامير الى فرنكفورت اخبرهُ رتشيلد ان اموالهُ لم تزل محفوظة لهُ . ولا بدَّ من ان يكون قد علم كيف افتداها لهُ باموالهِ فسر بذلك ورد لهُ ما خسرهُ وابقى الاموال عندهُ ليستعملها برباً قليل واهدى الى ابنهِ هدايا سنية

واشتهر اسم رتشيلد حينئذٍ وكان الانكليز مضطرين ان يرسلوا النقود الى البلدان الاوربية نفقة للجنود ورشوة للملوك ولم يستطع احد ان يلبي طلبهم مثل ماير رتشيلد فربح بذلك ربحاً وافراً لان الجزاء على قدر العمل وما فيهِ من الخطر . ويقال انهُ ربح مليون جنيه بارسال النقود الى الجنود الانكليزيَّة وانصارها في اسبانيا في اقل من ثماني سنوات . ولما رأَت الحكومة الانكليزية همتهُ ومقدرتهُ عينتهُ لدفع الرواتب التي كانت تدفعها الى ملوك اوربا لكي يبقوا على مقاومتهم لبونابرت. وتوفي سنة ١٨٠٢ بعد ان بلغت ثروتهُ ملايين كثيرة وجمع بنيه الخمسة قبل وفاتهِ واوصاهم قائلاً . " احفظوا شريعة موسى . ابقوا على اتحادكم. شاوروا امكم في كل عمل كبير تريدون عملهُ واعتمدوا على رأْيها . احفظوا هذه الوصايا الثلاث فلا تلبث الدنيا ان تصير لكم "

وفعل ابناؤُهُ حسب وصيتهِ فبقوا على اتحادهم واقتسموا ممالك اوربا فبقي اكبرهم في فرنكفورت وذهب واحد منهم الى فينَّا وواحد الى باريس وواحد الى نابلي وواحد الى لندن. واتفقوا على ان يدير كلٌّ منهم القسم الذي اختصَّ بهِ ويعتمد على اخوتهِ في الاعمال العمومية لتكون مشتركة فصار كلٌّ منهم بمقام خمسة لان كل واحد منهم كان يُعلم اخوتهُ بما يقف عليهِ من الاخبار ويعينهُ ويستعين بهِ في الاعمال فاثبتوا المثل القائل ان الاتحاد قوة

واسم الولد الذي اختار بلاد الانكليز ناثان جاءها في صباهُ كما تقدَّم لكي يثري فيها . قيل قال لهُ بعضهم لما شاخ " عسى ان لا يشبَّ اولادك محبين للمال مثلك ولا اظن انك تودُّ ذلك " فقال " بل انا اودُّهُ واودُّ ان لا يكون لهم همٌّ غير توسيع اعمالهم وتثمير اموالهم ولا

لذة للمرء بغير التعب . وجمع المال الكثير يقتضي كثيرًا من الجهد والحذر ولكن حفظهُ بعد جمعهِ يقتضي عشرة اضعاف ما اقتضاهُ جمعهُ من المهارة"

ولما جاء ناثان الى بلاد الانكليز ذهب الى منشستر اولاً لانهُ كان يتاجر بالمنسوجات الانكليزية وجاء فرنكفورت تاجر انكليزي وكأنهُ احتكر البضائع الانكليزية فاغتاظ ناثان منهُ ذات يوم وقام الى منشستر ومعهُ كل ما استطاع ابوهُ ان يعطيهُ من المال ووجد البضائع رخيصة جدًّا فيها فابتاع بكل ما معهُ من النقود وربح ربحًا وافرًا . ثم رأى ان ابواب الكسب من تلك البضائع ثلاثة من المتاجرة بالمواد الاصلية كالقطن والصوف ونحوهِ ومن المتاجرة بالاصباغ التي تصبغ بها المنسوجات وتطبع ومن نسجها فقال لاصحاب معامل الغزل والنسج اني اقدم لكم المواد الاصلية والاصباغ وانتم تقدمون لي المنسوجات فتثلَّث ربحهُ وكان معهُ عشرون الف جنيه فصارت ستين الفًا في وقت قصير . ثم وردت عليهِ اموال امير هس كما تقدَّم وكانت نحو ستمئة الف جنيه فمضى الى مدينة لندن واقام فيها وكان يثق ان انكلترا ستقهر بونابرت اخيرًا فترتفع اوراقها المالية عمَّا انحطَّت اليهِ حينئذٍ فجعل يشتري كل ما تصل اليهِ يدهُ منها و يساعد الحكومة الانكليزية في نقل الاموال كما تقدَّم . وكان يربي حمام الزاجل لنقل الاخبار اليهِ بسرعة لان التلغراف لم يكن قد اختُرع فعجز الماليون عن مناظرتهِ وكان تحت يدهِ جمهور من السماسرة يبيعون لهُ و يشترون فاذا اراد ان يشتري اوراقًا مالية امر بعضهم ان يبيعوا الفًا منها والبعض الآخر ان يشتروا عشرة آلاف كما يفعل كثيرون من المضاربين وهو عمل قبيح لا نظن ان اولادهُ يفتخرون بهِ او يحللونهُ

و يروى انهُ لما حدثت واقعة وترلو التي تم فيها الفوز على بونابرت وأُخذ اسيرًا كان ناثان رتشيلد هذا مع الجنود الانكليزية فاسرع الى لندن واشاع ان الفوز كان لبونابرت فهبطت الاوراق المالية كثيرًا وابتاعها كلها بواسطة سماسرتهِ ولكن هذه القصَّة مكذوبة وحقيقتها انهُ كان لهُ وكيل في بروكسل فاسرع الى بلاد الانكليز بعد المعركة واخبرهُ بها قبلما وصل الخبر الى رئيس الوزراء وكانت خزائنهُ مملوءة من الاوراق المالية من غير ان يشتري شيئًا جديدًا منها فربح كثيرًا لكن ربحهُ الاوفر ومقامهُ السامي لم يكونا من تعاملهِ بالاوراق المالية بل من اقراض الاموال للحكومة الانكليزية وغيرها من الحكومات

وكان داهيةً يتاجر ويضارب ويحتكر ويرابي وخدمهُ السعد لانهُ قام في زمن الحرب وهو زمن الربح للماليين لكنهُ لم يسلم من نغص العيش . قال لهُ بعضهم مرةً هنيئًا لك فقال لهُ من اين الهناء وكثيرًا ما يصل اليَّ مكتوب يقول لي فيهِ كاتبهُ اما ان ترسل خمس مئة جنيه الى

المكان الفلاني او اطير دماغك

ومع دهائهِ غلبهُ رجل آخر في الدهاء فان هذا الرجل رآهُ مرةً ذاهباً في المساء الى مكتبهِ مع اثنين آخرين فتبعهم ودخل المكتب وراءهم فجأَة ووقع على الارض مغمى عليهِ فقام رتشيلد ورفيقاهُ يحاولون ايقاظهُ وهو لا يبدي حراكاً واخيرًا تركوهُ حاسبين انهُ لا يعي على شيءٍ وجعلوا يتذاكرون في الامر الذي جاءوا للمذاكرة فيهِ واتفقوا على شيءٍ وخرجوا واوصوا البوَّاب

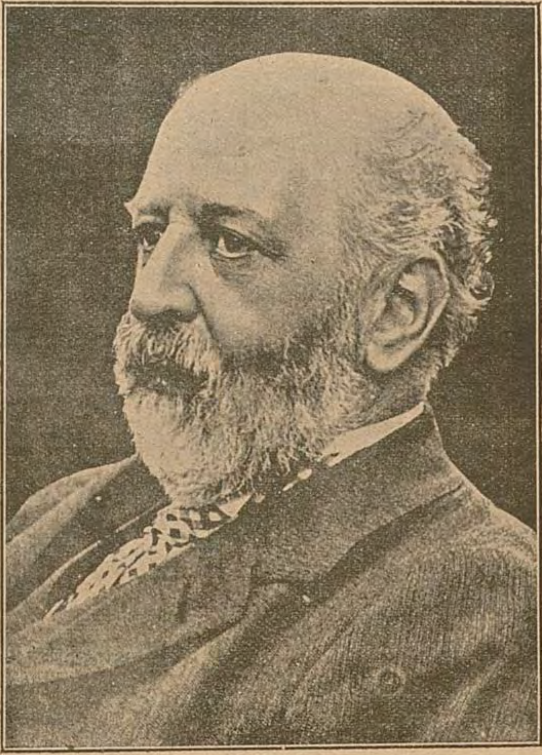

(لورد رتشيلد)

ان يعتني بهِ لكن الرجل انتفض بعد خروجهم وهرول الى البورصة واشترى كل الاوراق التي اقرَّ رتشيلد على ابتياعها وهو يذاكر ذينك الرجلين

وتوفي ناثان رتشيلد سنة ١٨٣٦ وكان لهُ ثلاثة ابناءٍ اكبرهم ليونل نخلف اباهُ وفاقهُ في اصدار القروض المالية فصار كلما تولى اصدار قرض يُقدِم الماليون على الاشتراك فيهِ حالاً فاذا طلبت حكومة مليون جنيه قرضاً وتكفل رتشيلد باصدار سنداتهِ اقبل الماليون على

ابتياعها ودفع المال المطلوب حتى اذا كانت العمولة من ذلك خمسة في المئة بلغ ربحهُ منها خمسين الف جنيه واذا كان القرض عشرة ملايين بلغ ربحهُ خمس مئة الف جنيه

واشتهر ليونل رتشيلد بانهُ حفظ السلم في اوربا ومنع بنك انكلترا من الافلاس وكان اكبر سند للحكومة الانكليزية وهو الذي اقرضها المال لابتياع اسهم ترعة السويس من الحكومة المصرية واقرض اسمعيل باشا الخديوي الاسبق الاموال التي بذَّرها في ما يجدي وما لا يجدي فمهّد الطريق للاحتلال . وتوفي سنة ١٨٧٩ وخلفهُ ابنهُ لورد رتشيلد الذي اعطي لقب اللوردية سنة ١٨٨٥ وهو المرسوم في الصفحة السابقة

ولبيت رتشيلد مآثر كثيرة شملت ابناء امتهم والبلدان التي استوطنوها وهم من اكبر دعائم الحضارة في هذا الزمان وبهم نفاخر الاوربيين والاميركيين فنقول لهم هؤُلاء من الاسرائيليين ابناء فلسطين وقد غالبوكم في بلادكم وغلبوكم ولولا فساد الاحكام الذي استولى على هذا القطر والقطر الشامي منذ الف سنة فاكثر لبقي زمام المال في يد ابناء المشرق

(٢) وليم هنري سمث بائع الجرائد

لا نظن ان قارئاً من قرَّاء المقتطف يقرأُ هذا العنوان الاَّ ويستغرب اننا نحشر باعة الجرائد بين ارباب الاموال ويزيد استغرابهُ اذا علم ان صاحب الترجمة ارتقى من بيع الجرائد الى ان صار وزيرًا من وزراء الانكليز ورئيساً لمجلس النواب الانكليزي فوق ما جمعهُ من الثروة الطائلة من بيع الجرائد ومات منذ عشر سنوات وترك مليوناً و ٧٧٦ الف جنيه عدا العقارات الكثيرة ولا يزال بيتهُ يبيع الجرائد الى الآن

كان ابوهُ وليم سمث بائع جرائد وورق واقلام وما اشبهٍ مما يطلبهُ الكتاب وكان عالي الهمة لا يكلُّ ولا يملُّ جعل شعارهُ "السابقون السابقون" فكان يستلم الجرائد من المطابع حال صدورها ويوزع بعضها في انحاء المدينة ويرزم البعض الآخر ويرسلهُ الى الجهات البعيدة واستخدم اناساً كان يركبهم خيولاً سريعة العدو لكي يسبقوا غيرهم في ارسال الجرائد الى اصحابها . ولما شبَّ صاحب الترجمة اراد ان ينتظم في سلك خدَمة الدين فمنعهُ ابوهُ عن ذلك واشركهُ معهُ في عملهِ وكان الاب صعب المراس مع ما اتَّصف بهِ من الهمة والانصاف لكن الابن كان من الين الناس عريكة كما كان من اعلاهم همة واكثرهم اجتهادًا فكان ينهض كل يوم الساعة الرابعة صباحاً ويلبس ويفطر ويمضي الى مكتبهِ فيكون فيهِ الساعة الخامسة صيفاً وشتاء ويشرع للحال في فرز جرائد الصباح ولفها وارسالها الى حيث يجب ان ترسل واتسع عملهُ بسرعة فائقة واضاف الى بيع الجرائد التزام بيع الكتب في محطات سكك الحديد وكان يبيع فيها الكتب المفيدة

والروايات الادبية لاغير فكان ذلك من افعل الوسائل في اصلاح آداب الامة الانكليزية

ونشبت حرب القرم و بعثت جريدة التيمس مكاتباً خاصاً اليها وكان التلغراف قد مُدَّ وصارت الاخبار تنقل بهِ فزاد اقبال الناس على قراءتها اضعافاً كثيرة وكان وليم هنري سمث البائع الوحيد لها في البلاد الانكليزية فزاد ربحهُ من ذلك ومن ازدياد سكك الحديد وكثرة محطاتها فصار معدوداً بين ارباب الثروة وانتُخب عضواً في مجلس النواب سنة ١٨٦٨ وجُعل

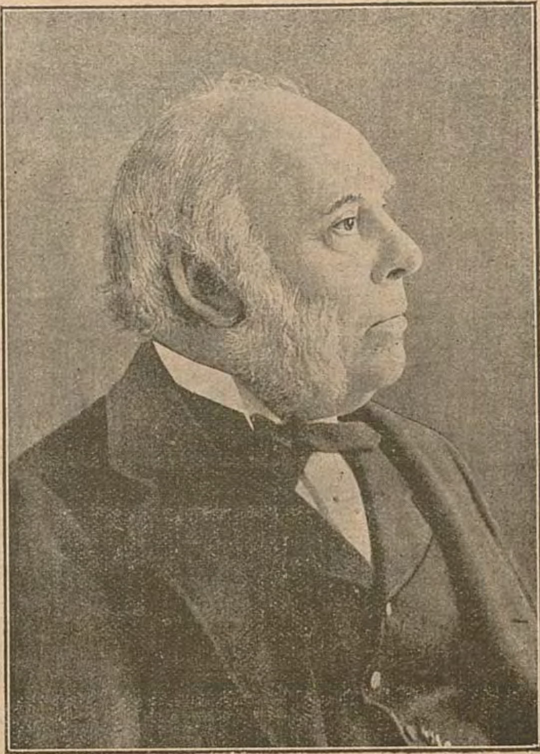

(وليم هنري سمث)

وزيراً للمالية سنة ١٨٧٤ وللبحرية سنة ١٨٧٧ وللحربية سنة ١٨٨٥ واعيد الى وزارة المالية في وزارة سلسبري السابقة وجُعل رئيساً لمجلس النواب وتوفي وهو في ذلك المنصب . ولما جُعل وزيراً للبحرية سلَّم اشغالهُ لاناس اكفاءَ لادارتها واستراح من عنائها . ويعدهُ قومهُ من دعائم بلادهم وحسبهُ فخراً انهُ ربح من بيع الكتب والجرائد مليونين من الجنيهات ولم يبع قصة مجونية ولا باع جريدة تطبع يوم الاحد لكي لا يخل بعقيدتهِ الدينية

عمران دمشق

« مدرسها »

من طالع فهارس الكتب العربية ودخل دور الكتب الشهيرة يعلم ما كانت عليهِ الامة العربية من التوفر على التأليف في كل فن وعلم ايام اقتعادها غارب العز الاقعس وافتراعها اعراف المجد الاثيل . ومن طاف في بلاد دمشق وضاحيتها وشاهد ما هناك من آثار طامسة ومدارس دارسة يدرك ولا شك ما كان في هذه الحاضرة من صنوف العمران وضروب الحضارة والغضارة ايام كانت سوق العلم نافقة وكلمة العدل نافذة

ولقد ذهب بعض متأخري المؤرخين الى ان المدارس بدمشق كثرت على عهد الدولة الاموية وهو وهم لا دليل عليهِ من التاريخ البتة فقد ظهر بعد البحث ان المدارس في الاسلام على هذا الطرز المعروف لعهدنا لم تكن الاَّ في اواخر القرن الخامس للهجرة . قال السيوطي في محاضراتهِ ان اول من بنى المدارس لطلبة العلم ورتَّب فيها لهم المعاليم من المواجب والارزاق نظام الملك يعني هو اول من بني في العراق . ونظام الملك هو ذاك الوزير الكبير الذي تفتخر بهِ الدولة السلجوقية التركية وهو مؤسس المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٩ المعدودة من اعظم كليات المسلمين

ويؤْخذ من مطالعة كتب السيران تاريخ المدارس في هذه الحاضرة يُرَدُّ الى عهد الملك العادل نور الدين الشهيد وحاشيتهِ وذريتهِ فانهُ كان اول من تقرَّب بهذه المآثر وعُني باشادتها على ما سيجيء . وربما خطر لبعض الناس ان هذه المدارس البادية انقاضها للعيان اليوم في سفح قاسيون والشرفين عمرت وسط البساتين والحدائق كما هي الآن والصحيح انها لم تكن الاَّ وسط عمران مسبطرّ من دور وقصور ومصايف وقرى

قال البدري ومن محاسن الشام الصالحية وهي مشحونة بالزوايا والترب والمدارس والقرب تمشي بها بين ترب ومدارس ببناءٍ جميل استولت عليها يد المباشرين والنظار فازالوا منها العين فلم يبقَ سوى الآثار فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح وامست في ظلمة بعد تلك المصابيح وهي تقول اصبحت حاصلاً بعد ما كان ايواني بالقراءة عامرًا آهلاً وهذه تقول اصبحت مربطًا للبهائم بعدما كنت معبدًا للصائم والقائم وهذه تقول اتخذوني مسكنًا وهذه تقول جعلوني متبنًا وهذه تقول هدوني واخذوا سقفي وكشفوني وهذه تقول خربوا جداري وباعوا الباب وجعلوني مأوى للكلاب

هذا ما رُثيت بهِ المدارس في القرن التاسع فبمَ ترثى اليوم وقد امسي معظمها مجمعاً للموبقات والخبائث ومستودعاً للقمامات والقاذورات . وما برحت انقاضها تُسرق سرًّا وجهرًا واوقافها تُضيع بين رجع السماء وصدع الارض وما بقي منها يدعى باسم مدرسة او عمَّرهُ بعض ارباب المظاهر من المتأخرين يؤثر العاقل ان يكون خرابًا يبابًا من ان يشاهدهُ على هذه الصفة حقيرًا بناؤُهُ وخيمة غرفهُ وافنيتهُ مختلة اصول التعليم فيهِ وان شئت التصريح فقل ان دروس العلم اعتيض عنها منذ أُبطل امتحان طلاَّب العلوم كل عام بالهزل والهذيان وتعطيل الوقت في ما لا يجدي الانسان ولا يرضي الديَّان

وقد كان بدمشق سبع دور للقرآن وثماني عشرة دارًا للحديث وسبع وخمسون مدرسة للشافعيَّة واحدى وخمسون مدرسة للحنفيَّة واربع للمالكيَّة وعشر للحنابلة وثلاث مدارس طبيَّة وهي الدخوارية انشئت سنة ٦٢١ واللبودية انشئت سنة ٦٦٤ والصلاحيَّة انشئت سنة ٦٧٠ وكان بها صيدليَّة منظمة والربيعيَّة غربي البيمارستان النوري . ولا اثر في عهدنا لتلك المدارس الطبيَّة

هذه هي المدارس التي كانت بدمشق فتخرَّج فيها قديمًا العلماء والفقهاء والخطباء والشعراء والاطباء والقضاة والولاة . ويؤخذ من تقويم الحكومة المحلية ان المدارس الباقية هنا الآن ثلاثون مدرسة الآن تقويم المعارف يعدد اكثر من ذلك ويرى ان المدارس العامرة بطلابها ومشايخها هي خمس عشرة مدرسة وهو الصحيح يسكنها والاحناف الشوافعة والمالكية والحنابلة على السواء

ومن المدارس التي انشئت في القرن المنقضي مدرسة المرادية لصاحبها الشيخ مراد المرادي وكانت قبل ذلك خانًا يسكنهُ اهل الفسق والفجور وكذلك بنى مدرسة في دار بمحلة سوق ساروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية مع مسجد . ومن المدارس الحديثة مدرسة سليمان باشا العظم اسست في باب البريد سنة ١١٥٠ وهي الآن مكتب للاناث ومدرسة عبد الله باشا العظم في سوق السلاح اسست سنة ١١٩٣ ومدرسة اسماعيل باشا العظم في سوق الخيَّاطين اسست سنة ١١٤١

ولما ارادت الدولة العثمانية بث المعارف بين الرعايا وتربية الناشئة بحيث يصلحون لخدمة افكارها شرعت على عهد السلطان عبد المجيد خان بتأسيس بضعة مكاتب وكتاتيب في العاصمة وبعض الولايات القريبة منها تدرس فيها مبادئ اللغات التركية والفارسية والعربية والافرنسية وبعض العلوم العصرية وزادت النهضة على عهد السلطان عبد العزيز خان لكنها لم تبلغ

دمشق الأ منذ اثنين وعشرين عاماً في ولاية الوزير مدحت باشا الثانية فأسس مع ما اسس من المشروعات النافعة مدارس ابتدائية للاطفال كما شاد دارًا حسنة للصنائع يأوي اليها اليتامى . ومن الغريب ان المدارس التي عُني بانشائها عندنا لم يكثر عددها و يتزايد انتظامها من بعدهِ بل امست قليلة العدد والجدوى. هذا في مدينة دمشق حيث الحاجة اشد ما تكون ماسة الى المدارس العالية فضلاً عن الابتدائية اذ يحل هنا الروس والروم والفرنسيس والانكليز واليهود وغيرهم فيؤسسون ما شاءوا من مدارس وكتاتيب يقبلون فيها ابناء الطوائف كافة فما بالك في الضاحية التي تكاد لا تخلو اهم قراها من مدارس يتولى امرها المرسلون على اختلاف لغاتهم واديانهم و يربون اولاد القرى على المبادىء التي يريدونها

وياليت المعارف تبذل ربع ما تستوفيهِ في سورية من الاعشار باسم السبع والربع ومن الجبايات ستة بالمئة لتصرفهُ على تعليم الناس . مثال ذلك جبل عجلون وفيهِ مائة وخمس قرى فان اهلهُ يؤدون للمعارف زهاء اربعة آلاف ليرة عثمانية سنويًّا ثم لا نجد في كل بلادهم على كبر رقعتها وكثرة سكانها سوى اربعة مكاتب ابتدائية حقيرة لا تصرف عليها المعارف مائة وخمسين ليرة في السنة

واكبر مدارس الحكومة اليوم في هذه الحاضرة مكتبان اعداديان الاول عسكري اسس سنة ١٢٦٦ ه والثاني ملكي اسس في ١٩ آب ١٣٠٤ حساباً شرقياً يكون الاول غربي المدينة في جامع تنكز والثاني في شرقيها في اجمل دور الفيحاء كان لغنيّ اسرائيلي فاحترق فابتاعتهُ جمعية المعارف وجعلتهُ مكتباً ملكياً. و يعد من المكاتب الكبيرة ايضاً المكتب الرشدي العسكري وهو بمثابة المدارس الابتدائية او ارقى منها درجة وتلامذتهُ يتراوحون بين الخمسمائة والستمائة غالباً وقد أُسس في جامع يلبغا سنة ١٢٩٣ ه . ويؤخذ من احصاء نشرتهُ رئاسة المعارف بدمشق في العام الماضي ان بدمشق سبعة كتاتيب ابتدائية اميرية للذكور فيها ٥٥٤ طالباً وستة مكاتب للاناث فيها ٣٨٤ طالبة وان عدد الكتاتيب الخاصة ٨٥ كتاباً للذكور وكتاتيب الاناث ٨٠ فيها كلها ١٢٨٦٠ طفلاً وطفلة . اما مدارس الاجانب فلم ارَ احصاء بها والحكومة لا تعترف رسميًّا الاّ بعدد قليل منها اذ الظاهر انهُ أُسس معظمها بلا استئذان ولكن دعوتها سارية وتعاليمها مبثوثة

ولقد همَّ القوم مرارًا لتأسيس مدرسة وطنية في هذه المدينة لكنهم رجعوا على الاعقاب اذ لا يعرفون الطرق المنتجة وكل شعب غير منور لا يجيد القيام على مثل هذ الشؤُون ما لم تأخذ حكومتهُ بيدهِ وتدلهُ على سواء السبيل بل كل حكومة ربَّت شعبها على الخضوع المطلق

ونقديس اعمالها ينتهي بهِ الحال ان لا يعمل عملاً ما قلَّ او جلَّ

خانقاهاتها

كان بدمشق ستة وعشرون خانقاها . والخانقاه كلمة فارسية مركبة اصطلاحية وهي دار للفقراء ومأوى للدراويش . جاء في محاضرة السيوطي ان اول من بنى خانقاهاً للصوفية بمصر من الملوك السلطان صلاح الدين بن يوسف ورتب للفقراء الواردين ارزاقاً معلومة . ومن قبيل ذلك الرباط وهو مسكن الدراويش والفقراء وكان بدمشق اثنان وعشرون رباطاً . ومن قبيلهِ ايضاً الزاوية وكان بها ست وعشرون زاوية

مستشفياتها

اقامة دور للبائسين ومآوي للضعفاء واصحاب العاهات والزمانات من امارات الحضارة ودلائل ارتقاء الانسان. قيل ان اول من اتخذ المستشفيات في صدر الاسلام الوليد بن عبد الملك كما كان اول من اتخذ دار الضيافة للواردين فانهُ اقام في دمشق على ما يروى مستشفى للمجذومين باقرب من الباب الشرقي في محل يسمى الآن بالاعاطلة لما ان في ماء دمشق على ما قالوا سريرة لدفع مرض الجذام عن اهلها فلم يصبهم البتة والغريب المصاب بهِ تكسر عنهُ عاديتهُ اذا نزل بها او يتوقف عنهُ سيرهُ . قال ابن عساكر كان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم كان يُعطي اكياس الدراهم لتفرَّق على الصالحين وفرض للمجذومين وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مُقعَد خادماً وكل اعمى قائداً . وروى البلاذري في فتوح البلدان ان عمر بن الخطاب عند مقدمهِ الجابية من ارض دمشق مرَّ بقوم مجذَّمين من النصارى فامر ان يعطوا من الصدقات وان يجري عليهم القوت

كان بدمشق بحسب ما وقفت عليهِ ثلاثة مستشيات الاول انشأهُ نور الدين الشهيد كما انشأ غيرهُ في البلاد وكان بيمارستان دمشق اعظمها واكثرها خرجاً ودخلاً . قال صاحب الروضتين بلغني في اصل بنائهِ نادرة وهي ان نور الدين رحمهُ الله وقع في اسرهِ بعض اكابر ملوك الفرنج فقطع على نفسهِ في فدائهِ مالاً عظيماً فشاور نور الدين امراءهُ فكل اشار بعدم اطلاقهِ لما كان فيهِ من الضرر على المسلمين ومال نور الدين الى الفدى بعد ما استخار الله تعالى فاطلقهُ ليلاً فلما بلغ الفرنجي مأمنهُ مات وبلغ نور الدين موت الفرنجي فبنى بذلك المال هذا البيمارستان ومنع المال الامراء لانهُ لم يكن عن ارادتهم . تولى بناءهُ كمال الدين بن الشهرزوري وكان في الدولة النورية الحاكم المتحكم بدمشق وهو الذي تولى بناء اسوارها وسنَّ دار العدل لتنفذ احكامهُ بحضرة السلطان فلا يبقى عليهِ مغمز ولا ملمز

ظلَّ هذا المستشفى عامرًا الى سنة ١٣١٧ ﻫ واوقافهُ تكاد تكون دارسة يتولاه نخبة من نطس اطباء تلك العصور . وفي ترجمة رشيد الدين بن علي بن خليفة ان الملك العادل ابا بكر بن ايوب لما سمع بسيرتهِ وعلمهِ ولاهُ طب البيمارستانين بدمشق اللذين وقفهما الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وهذا يدل على انهُ كان بدمشق بيمارستانان الاول النوري الكبير المتقدم وصفهُ والثاني بباب البريد . جاءَ في ترجمة عز الدين بن السويدي انهُ خدم في البيمارستان بباب البريد . وكان ايضًا بيمارستان آخر في الصالحية اسمهُ القيمري انشأهُ الامير ابو الحسن القيمري في القرن السابع ولم يبق الاَّ بعض جدرانهِ واصبح باقيهِ حديقة

وفي دمشق لهذا العهد اربعة مستشفيات او بيمارستانات — والبيمارستان كلمة فارسية مركبة معناها محل المرضى — الاول المستشفى العسكري وفيهِ يستشفي ضباط المعسكر الخامس السلطاني واجنادهُ . وفي ١١ ذي القعدة ١٣١٥ احتفلت جمعية اسكتلندا الانكليزية بافتتاح المستشفى الذي اسستهُ بارداة سنية في ارض الزينبية على طريق حلب ونوى اللعازريون انشاء مستشفى قبالتهُ مجاراةً لهُ فلم يفتحوهُ حتى الآن لاسباب لا نعلمها على ان للراهبات الافرنسيات مستشفى قرب مدرسة اللعازرية أُنشيء منذ عهد بعيد

ومنذ اعوام شرعت بلدية دمشق بانشاء مستشفى للغرباء في الجانب الغربي امام تكية السلطان سليمان خان وجمعت لهُ اعانات من الاهلين والمأمورين وفُرض شيء من المال على المراسح والمتنزهات من ممثلين وممثلات ومغنين ومغنيات وأُخذ مبلغ من واردات البلدية واوقاف المستشفى النوري حتى اذا كان ١٥ ذي القعدة ١٣١٧ احتفل بافتتاح المستشفى الجديد فصدرت الارادة السنية بتسميتهِ بالاسم الحميدي وجعلت بجانبهِ دار للمعتوهين ودار للايتام وغيرهما مما يتصرف تحت اسم مستشفى . وخُصصت اوقاف المستشفى النوري ومبلغ خمسمائة ليرة تؤخذ مسانهاةً من واردات البلدية لتصرف على المستشفى الحميدي اما البيمارستان النوري فقد جعل مدرسة صنائع للاناث . وهكذا خلف المستشفى الحميديُّ المستشفى النوريَّ وزادهُ رونقًا ورواءً مقبرة الصوفية التي ضمت اليهِ وجعلت حديقة للمستشفى مغروسة باشجار تلطف الهواء وتعدّل المناخ

دور كتبها

مَن يُصدّق الآن ان الكتب العربية كانت في هذه الديار قبل اختراع صناعة الطباعة اكثر عددًا ووفاءً بالحاجة منها في هذه الايام وان الاسفار الحديث تأليفها في المغرب كانت تسير الى المشرق بسرعة ويتعاقب عليها النقل وتتناولها ايدي الاساتذة والتلامذة وتزداد بها

المكاتب الخاصة والعامة خصوصاً على عهد تينك الخلافتين الاموية المغربية والعباسية المشرقية وانهُ كان من انتظام المدارس الدينية في تلك الاعصر ان لكل منها دار كتب لائقة مُسبَّلة على المراجعة والدرس متوفرة فيها شروط التعلم والاستنساخ

ذُكر في فتاوى التقي السبكي صكُّ وقف دار الحديث الاشرفية المعروفة الى الآن فجاء فيهِ هذا : و يُصرف الى الشيخ المحدّث في كل شهر تسعون درهماً (هي نسبية وربما ناهزت الثلاثين ليرة بمعاملة اليوم) وهو ابو عمرو ابن الصلاح ولنسلهِ خمسون درهماً الى ان ينقرض آخرهم. قال ويُصرف الى خازن الكتب ثمانية عشر درهماً في كل شهر وعليهِ الاهتمام بترميم الكتب واعلام الناظر او نائبهِ ليصرف فيهِ من مغل الوقف ما يفي بذلك وكذلك اذا مست الحاجة الى تصحيح كتاب ومقابلتهِ . وجاء فيهِ وجعل جزءًا من الوقف يُصرف على مصالح المدرسة النورية ومن ذلك ان يُصرف في شراء ورق وآلات نسخ من مُرَكَّب (حبر) واقلام ودُويّ ونحو ذلك ما يقع بهِ الكفاية لمن ينسخ في الديوان الكبير او قبالتهُ الحديثَ او شيئًا من علومهِ او القرآن العظيم او تفسيرهُ و يصرف الى من يكتب في مجالس الاملاء والى من يتخذ لنفسهِ كتباً او استجازة ولا يعطى من ذلك الاَّ لمن ينسخ لنفسهِ لغرض الاستفادة والتحصيل دون التكسب والانتفاع بثمنهِ. قال وللشيخ الناظر ان يستنسخ للوقف او يشتري ما تدعو الحاجة اليهِ من الكتب والاجزاء ثم يقف ذلك اسوة ما في الدار من كتبها. كُتِب سنة ستمائة واثنتين وثلاثين اه

قلتُ انها كانت وافية بالحاجة لتعددها وتنوعها . ومما رواهُ العماد الكاتب انهُ كان لبيع الكتب في قصر صلاح الدين يوسف بن ايوب كل اسبوع يومان وخزائنها في القصر مرتبة البيوت مقسمة الرفوف مفهرسة بالمعروف فقيل للامير بهاء الدين قراقوس متولي القصر هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى سمينها والغث ولا غنى عن تهويتها ونفضها واخراجها من بيوت الخزانة الى ارضها. وهو تركي لا خبرة لهُ بالكتب ولا دربة لهُ باسفار الادب فاخرجت وهي اكثر من مائة الف من اماكنها واختلط ادبيها بنجوميها وشرعيها بمنطقيها وطبيها بهندسيها وتواريخها بتفاسيرها ومجاهيلها بمشاهيرها وكان فيها من الكتب الكبار وتواريخ الامصار ومصنفات الاخبار ما يشتمل كل كتاب خمسين او ستين جزءًا مجلداً . . . .

وذكر المقريزي في الخطط اعاجيب بشأن خزائن كتب الفاطميين بمصر . وفي ترجمة نصير الدين الطوسي الرياضي المشهور المتوفى سنة ٦٧٢ انهُ ابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الارجاء وملأَها من الكتب التي نهبها هولاكو التتري من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على اربعمائة الف مجلد . وهكذا ظلَّت اسفارنا تسافر

في البلاد حتى اذا عرا الامة ذاك الجمود العجيب تطاولت الايدي الى نهب الكتب فتمزّقت شذر مذر وزهد الناس فيها الأ ماكان منها في فروع الدينيات اللازمة لبعض الشيوخ وبقي العلم عندنا كما كان باوربا في القرون الوسطى مختصاً برؤساء الدين لا يكاد يتعدى جدران الصوامع والجوامع ودهاليز الاديرة والبيع حظ سائر الطبقات حظ العجماوات يأكلون ويشربون وينامون ويتناسلون وحظ سائر علوم البشر الدثور والعفاء

ولقد تدرجت الحال باصحاب الاطماع حتى انتقلوا من نهب المكاتب الخاصة الى العامة بمساعدة قوّامها حتى اذا كان عام ١٢٩٨ هـ تنبه بعض اهل البصر من حملة العلم وفي مقدمتهم العلاّمة الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري فسعوا بواسطة الحكومة المحلية الى جمع ما تفرّق في الخزائن العامة من الاسفار وبعد ممانعات شديدة ممن يرومون كتم العلم وابقاء الناس في عماية جملوها في شطر من مدرسة الملك الظاهر بيبرس قبالة العادلية الكبرى ونصبوا عليها قوّاماً ووضعوا لها شرائط المكاتب في البلاد المتمدنة فجاءت مكتبة مؤلفة من ٢٤٥٣ كتاباً متنوعة عدا الدشت اوالكراريس والاوراق المتفرقة . والاصل أُخذ من عشر مكاتب مكتبة المدرسة العمرية بالصالحية وهي قديمة العهد وقفها بعض اهل الخير . ومكتبة مدرسة عبد الله باشا العظم وقفها سنة ١٢١١ وضمّ اليها كتباً وقفها والده محمد باشا سنة ١١٩٠ . ومكتبة سليمان باشا العظم وقفها سنة ١١٩٦ كانت بمدرسة باب البريد . ومكتبة اعلا عثمان الكردي كانت بمدرسة السليمانية ايضاً. ومكتبة مدرسة الخياطين وقفها اسعد باشا العظم بعد سنة ١١٦٥ وكان مقرّها بمدرسة والده اسماعيل باشا . ومكتبة المرادية بمدرسة الشيخ مراد المرادي النقشبندي . ومكتبة مدرسة الشميصاتية وهي قديمة العهد وقفها بعض اهل الخير . ومكتبة الياغوشية كانت موضوعة في مدرسة سياوس باشا بالشاغور . ومكتبة الاوقاف وهي مؤلفة من عدة مكاتب حُفظت بقاياها . ومكتبة بيت الخطابة كانت بحجرة الخطابة بالجامع الاموي . ومن كتب أُخرى موقوفة

ومن الكتب المخطوطة المهمة في هذه الدار الآن كتاب الكواكب الدراري لابن عروة الحنبلي وهو اكثر من مئة وعشرين مجلداً في فن التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والرد على الفلاسفة واسماء الرجال وعلوم شتى والموجود منهُ ٤٢ جزءًا . والغريب في الحديث كثير منها اجوبة الامام احمد عن اسئلة ابي داود السجستاني كتبت سنة مايتين وست وستين . والبحر المحيط في اصول الفقه للبدر الزركشي في خمس مجلدات . والجزء الاول من التذكرة للعلامة اميرك من علماء المعتزلة في علم الكلام . والاشارات الالهية للحكيم المشهور ابي حيّان التوحيدي

في مخاطبة النفس بابلغ عبارة (الموجود منهُ الجزء الاول) . وشعب الايمان لعبد الجليل الاندلسي في التصوف والاخلاق . والرسالة الجامعة وهي جمع من جمع رسائل اخوان الصفا لمؤلفيها علماء الباطنية تقرأ عندهم بعد الرسائل المعروفة . والاول من سرّ الصناعة لابن جني في اسرار العربية . والصحائف اليونانية في مخاطبة النفس الانسانية . والضوء اللامع للسخاوي في تراجم اهل القرن التاسع خمس مجلدات كبيرة جداً . والثاني من مناقب الخلفاء الاربع لابي بكر ابن الطيب الباقلاني . وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الاندلسي والثالث من الجليس والانيس لابي الفرج المعافي بن زكريا . وكتاب الاحكام السلطانية للقاضي ابي يعلي . وتفضيل السلف على الخلف لابراهيم بن هبة الله . ورسالة الجاحظ في التنكيت والتبكيت لبعض من خالفهُ من علماء عصرهِ . وكتاب معاني الشعر للاشنانداني في حلّ بعض الاشعار التي تحتاج الى روية زائدة . وديوان خالد الكاتب . والطب الروحاني لابن الجوزي في علم الاخلاق . والاطرق فيما يتعلق بالمحدثين سبع مجلدات للحافظ جمال الدين المزّي . وكتاب الاحوال لابي عبيد بن سلام الازدي . وتاريخ ابن عساكر تام في عشرين مجلداً . واجزاء من كتاب الامّ للامام الشافعي خامسها هو الخامس عشر منها . والجزء الخامس من الفتاوى المصرية لشيخ الاسلام بن تيمية وهي في علوم شتى

هذا وفي المكتبة الآن ٢٦٠٠ مجلد مخطوط ويبلغ مجموع المخطوط والمطبوع اربعة آلاف مجلد منها بعض كتب في الفنون والادب أُحضرت حديثاً وهي من مطبوعات اوربا . والانتفاع حاصل بها لان للبلاد حاجة ماسة الى امثال هذه الدور التي قد لا تخلو منها بُلَيْدة في المغرب مهما صغرت وسورية كلها على كبر رقعتها وكثرة مدنها ليس فيها سوى هذه الخزانة

محمد كردعلي

[المقتطف] ولما حُرِق الجامع الاموي حديثاً شاع انهُ وجد في خزانة كتبهِ نسخ قديمة من التوراة والانجيل وان امبراطور المانيا بعث باحد العلماء العارفين باللغة العربيَّة واللغات القديمة الى دمشق للبحث عن هذه النسخ . فكتبنا الى اصدقائنا في بيروت ودمشق ليبحثوا عن ذلك فلم يجدوا للاشاعة صحَّة وانما وجدوا انهُ كان في خزانة الكتب نسخة قديمة من القرآن مكتوبة على رق الغزال مثل النسخة التي وجدت في جامع عمر بمصر القديمة وهي الآن في المكتبة الخديوية . ويحتمل انهُ كان في تلك الخزانة كتب أُخرى ثمينة وحرقت معها حرق

الطبع والعقل في الشرق والغرب

وطئ الغربُ هامة العلياء برجالٍ ذوي نهىً وذكاء
قرَّبوا بالبخار كلَّ بعيدٍ وأزالوا الصعابَ بالكهرباء
كلَّ يوم لهم جديد اختراعٍ واكتشافٍ في جعبة الانباء
ما اكتفوا بالمسير برًّا وبحرًا كيف شاؤوا بلا اقلِّ عناء
بل سَمت فيهم العزيمةُ حتى اسـ تسهلوا السير تحت سطح الماء
وتجرَّوا مع ذي الجناح سباقًا فامتطوا مثلهُ جناح الهواء
ليت شيخَ المعرَّة الفيلسوف الـ فردَ ربَّ القريض والانشاء
يُبعَثُ اليوم مبصرًا كي يرى ما جدَّ في ارضنا من الاشياء
لو رأى ما رأتهُ باريسُ من سنـ توس ديمون طائرًا في السماء
لم يؤخر اصلاح صدر شهير "سر ان اسطعت" قالهُ في الرثاء[1]
وبكي شرقهُ اسيفًا واهل الـ شرق طرًّا اولى الورى بالبكاء
وأراهم مصداق ما يرثيهِ انهُ كان أصدقَ الآراء

ذهب كاتب العرب البليغ وشاعرها المفلق وفيلسوفها الحكيم الشيخ ابو العلاء المعري ان الانسان عرضة لقوَّتين شديدتي الحول عظيمتي الصولة تتنازعانهِ آناء الليل واطراف النهار فتجذبهُ هذه ذات اليمين وتقذفهُ تلك ذات اليسار . وهاتان القوتان هما الطبع والعقل فمن عصي عقلهُ واطاع هواهُ وساير الطبع الى حيث دعاهُ تولاَّهُ الجهل والغرور وتحكمت فيهِ الشهوات الطبيعية والملاذّ الحيوانية واستأثرت بهِ الاوهام والاباطيل واضلَّتهُ سواء السبيل ولم تبقِ لهُ في خزانةِ قواهُ العقلية شيئًا يميزهُ عن الحيوان الاعجم . ومن استرقَّهُ الهوى واستعبدهُ الوهم فلا يرجى لهُ نموٌّ يتخذ دليلاً على كونهِ حيًّا ولهذا يعدُّ ميتًا وهو بعدُ في قيد الحياة

ومن عصي طبعهُ وأطاع نهاهُ واستعان بقوة عقلهِ على كبح جماح هوى النفس ومشتهى الطبع رأى سلَّم الارتقاء منصوبةً لديهِ من الارض الى السماء فارتقى الى اسمى الذرى ورأى من اسرار الطبيعة ما لا يرى وعني بملاحظة كل ما يحدث حولهُ و يعرض لديهِ ووفَّاهُ حقهُ من التجربة والاختبار وعكف على الاستقراء والاستنتاج رادًّا الحوادث الى مصادرها والمسببات

(١) اشارة الى قولهِ سر ان اسطعتَ في الهواء رويدًا

الى اسبابها والنتائج الى مقدماتها حتى اخذ بعنان الاستنباط والابداع . وملك ناصية الاكتشاف والاختراع

هذا ما دار في خلد ذلك الفيلسوف العربي منذ نحو تسع مئة عام وهي حقيقة عرضت لهُ في مرآة الخيال فتقصَّاها بالبحث والاستقراء وعرضها على كير الاختبار والامتحان حتى صفَّاها من شوائب الغموض وجرَّدها من اعراض الخفاء وجلاها على ابناء جيلهِ جوهرةً تدهش الابصار والبصائر ومن دونها اغلى الحلى واكرم الجواهر . وان شئت ان ترى كيف احتفل ذلك الشيخ الحكيم بامرها . وقدرها حق قدرها . فعليك بمراجعة منظوماتهِ ولا سيما ديوانهُ المعروف بلزوم ما لا يلزم فانهُ لم يغادر فيهِ مقطوعةً او قصيدة الاَّ زان بهذه الجوهرة عقدها ووشى بطراز هذه الحقيقة بردها فمن ذلك قولهُ

كذب الظنُّ لا امام سوى العـ ... قلِ مشيرًا في صبحهِ والمساء
فإذا ما اطعتَهُ جلب الر ... حمةَ عند المسيرِ والارساء

وقولهُ

لا تطيعي هواكِ ايتها النفـ ... سُ فنعمى المليكِ فينا ربيبه
فالزمي النسكَ ان عقلتِ وفري ... من ذوي الجهل كي تعدّي لبيبه

وقولهُ

عصاً في يدِ الاعمى يروم بها الهدى ... ابرُّ لهُ من كلِّ خدنٍ وصاحبِ
فأوسعْ بني حوَّاء هجرًا فإنهم ... يسيرون في نهج من الغيِّ لاحبِ
اذا ما اشار العقل بالرشد جرَّهم ... الى الغيِّ طبعٍ أخذهُ اخذُ ساحبِ

وقولهُ

عجبًا لي اعصي من الجهلِ عقلي ... ويظلُّ السليم عندي جريحا
مثل قيسٍ غداة فارق لبنى ... عاد يشكو فيما جناهُ ذريحا

وقولهُ

الى الله اشكو مهجةً لا تطيعني ... وعالم سوءٍ ليس فيهِ رشيدُ
حجًى مثل مهجور المنازل داثرٌ ... وجهلٌ كمسكون الديار مشيدُ

وقولهُ

يستحسن المرءُ دنياهُ فتقلقهُ ... والعين تستحسن الهنديَّ والزَّبَدا
فازجر هواكَ وحاذر ان تطاوعهُ ... فانهُ لغويٌّ طالما عبِـدَا

ولكنَّ اهلَ زمانهِ لسوءِ الحظِّ لم يستفيدوا مما قرَّرهُ علمًا ولا ادبًا ولا اتخذوا مذهبهُ لهم مذهبًا بل عدّوا جوهرهُ عرضًا ودرَّهُ مخشلبًا . ولم يكتفوا بعدم اعتبار هذه الحقيقة حتى كفَّروا صاحبها ورموهُ بسوء العقيدة وفساد الطريقة . ولا يزال الى يومنا هذا فريق كبيرٌ من ايمة الاديان ورؤساء المذاهب يحرّمون على اتباعهم تلاوة هذا الديوان زاعمين عفا الله عنهم أنَّ في تلاوتهِ عبثًا بالمعتقدِ وخطرًا على الإيمان

فلو بُعث ابو العلاء في هذه الايام وأُتيح لهُ أن يرى أبناء جنسهِ وباقي اهل الشرق لا يزالون من حيث الارتقاء العقلي والتقدُّم الادبي كما كانوا في زمانهِ ان لم نقل احطّ منزلةً وادنى درجةً . يحفلون بالاضاليل والاباطيل وينزّلون الترهات والخزعبلات منزلة الوحي والتنزيل . ويقابلون الحقائق بالانزواء والإعراض . ويلهون عن الجواهر بالاعراض ويفخرون بما قد يكون ادعى الى الاستحياء والخجل . وهكذا يتقدمون الى وراء ويرتفعون الى اسفل

ثم أُتيح لهُ ان يرى اهل الغرب يزدادون غنىً وثروةً وعظمةً واقتدارًا وقد خضعوا للعقل خضوع العبيد للسادات وطلّقوا الطبع واهواءهُ طلاق البتات . وخلعوا نير التقليد واخلصوا سبك الحقائق العلمية بنار التجربة والامتحان فنما العلم عندهم وبسقت اغصانهُ وورفت ظلالهُ ودنت لهم مقاطفهُ ومجانيهِ . ولانت معاطفهُ ومثانيهِ واستعانوا بهِ على الصناعة حتى ابلغوها من الاحكام والاتقان حدًّا يدهش عندهُ الانسان من قدرة الانسان ويقول ليس في الامكان احسن مما كان . واتخذوهُ ذريعةً لبسط ظلّ تجارتهم فاتسع في الخافقين نطاقها وامتدَّ رواقها ووشجت الى اقصاء الارض اعراقها . واحتفى ملوكهم وامراؤُهم واغنياؤُهم وعظماؤُهم بالحكماء والعلماء والشعراء والادباء وقرَّبوهم اليهم وبالغوا في اكرامهم واجزلوا لهم الصلات والهبات ومكنوهم من التفرُّغ للبحث والتنقيب والتأليف والتصنيف وسهلوا لهم سبل الاختراع والاكتشاف فملَّكوا الانسان قياد البخار يدير بهِ آلات المعامل والمصانع ويقطع لجج البحار ويجوب عرض القفار ثم ذللوا لهُ قوَّة الكهرباء يستخدمها مكان البخار في قضاءِ كثيرٍ من الحاجات ويطير بها الانباء ويخاطب الاصدقاء ويحفظ من الاصوات ما شاء ويتأنَّق بها في كالياتهِ للانارة وغيرها

لو رأى شيخ المعرَّة هذا كُلَّهُ في الغرب ورأى فيهِ ايضًا اناسًا طائرين في الفضاء يشقّون عباب الهواء يحلّقون الى ارفع من مطار النسر ويجرّعون ذوات الجناح غصة الخوف والذعر . لو رأى سنتوس ديمون الطيَّار البرازيلي الشهير طائفًا حول قمة برج ايفل ثم صحبهُ الى لندن وسمعهُ يذكر المسافات المترامية التي وطن نفسهُ على قطعها في مركبتهِ الهوائية فوق البحار غير

مبالٍ بالمحاذير ولا مكترثٍ للاخطار

لو سمع بالسُّفن الغوَّاصة التي اخترعوها للسير تحت الماء وشهد بالامس تجربة الغوَّاصة هولند في جزيرة لنغ مقابل نيو يورك حيث غاصت بمن فيها الى جوف المياه فقضى ركبها هنالك خمس عشرة ساعة أكلوا في خلالها وشربوا ولذُّوا وطربوا وسمروا ولعبوا حتى اذا قضوا ما شاؤُوا من غرض التجربة والامتحان وراعوا بمنظرهم الاسماك والحيتان صعدوا الى سطح الماء وقد عزموا ان يقطعوا بها شوطًا بعيدًا جدًّا

لو رأى سفينتين في ظهر البحر تتخاطبان على بعد سبعين ميلاً بتلغراف مركوني ولا موصل بينهما غير الماء والاثير المنتشر في الفضاء . لو رأى كل ما اخترعوا واستنبطوا وعرفوا واكتشفوا من اسرار الطبيعة وغوامض القوى وعجائب الامور وغرائب الاشياء مما يفوت عدَّهُ الوسع . وتضيق دون احصائهِ مسافة الذرع

لو جال في العواصم الكبرى وشاهد الصروح الباذخة والقصور الشامخة والفنادق الفخيمة والاندية العظيمة والقلاع المتينة والابراج الحصينة والمعارض والمتاحف والملاجئ والمتصدقات والمصاحّ والمستشفيات وسكك الحديد ومركبات الكهرباء والعربات السائرة بقوة ضغط الهواء والدرَّاجات والسيَّارات وغير ذلك من معالم العمران ومظاهر قوة عقل الانسان

لو رأى ما استنبطوهُ للحرب والكفاح من الآلات المهلكة للنفوس والحاصدة للارواح . من بنادق ومدافع وقنابل وقذائف ونسَّافات ومتلفات وغير ذلك من الادوات التي اغنت عن القسي والنبال والمزاريق وقامت مقام الحرَّاقات والكباش والمزاريق

لو رأى مدارسهم الابتدائية والعالية والكلية والجامعة بين علمية وطبية وعسكرية وهندسية وزراعية وحقوقية ومطابعهم وجرائدهم ومجلاتهم ومكاتبهم ومجامعهم العلمية وجمعياتهم الخيرية وبعثاتهم الجغرافية والجيولوجية والفلكية

لو رأى اكثر الاغنياء بينهم يجمعون الملايين بشقّ النفس وعرق الجبين وهجر الراحة والهناء وتحمل التعب والعناء ثم يوقفون جانبًا عظيمًا منها لانشاء المدارس والمتصدقات وللانفاق على الاكتشافات الجديدة والاختراعات المفيدة المساعدة على مقاومة الادواء الوبيلة والامراض المعدية والآئلة الى زيادة انتشار العلم والعرفان . وتخفيف الرزايا والويلات عن بني الانسان

لو رأى شيخنا ابو العلاء كل هذه المظاهر الرائعة الدالة على مبلغ اهل الغرب من التقدم والارتقاء . لناح من جهةٍ على شرقهِ وانتحب . وأسف واكتأب . وسُرَّ من جهة أُخرى لأنهُ رأى بعينهِ صواب حكمهِ القديم وصحة رأيهِ القويم وعاد الى ضريحهِ مغبّطًا دعاة العقل ومريديهِ

لانهم في نعيم مقيم يبقى بقاء السماء . وآسفاً على شقاء زعماء الطبع وتابعيهِ لأنهم اموات في صور احياء

وبعدُ ايها المطالع الكريم فما رأيك في هذه المقابلة البسيطة اليست صحيحة من كل وجوهها صادقة في جميع احكامها . لو نبذتَ معي الغرض جانباً ونحيت عنك محبة النفس والجنس والوطن وتأمّلتَ في حالتنا الحاضرة وبحثت عن السبب الحقيقي الفاعل في انحطاطنا عن اهل الغرب وسبقهم لنا لم تجد لذلك من داعٍ اكيد سوى استرسالنا الى الطبع وتفريطنا في العقل

ولا اكتمك أنّ الطبع الذي انقدنا اليهِ وضحّينا العقل في سبيلهِ فعل بنا فعل المخدّر بالعليل فلم نعد نشعر بالخسارة الفادحة التي كابدناها لأنهُ سلَّط علينا في الحال احد عواملهِ وهو الوهم ومَوّهَ علينا ما لا يجوز على الاولاد الصغار لكننا لسوء الحظ اعتقدنا صحتهُ وصدَّقناهُ وتعزَّينا بهِ عن العقل لا بل اطلقنا سراحهُ الى اهل الغرب ولم نأسف على فراقهِ

صوَّر لنا الطبع بقوة الوهم انّ النطق كفيل بتمييزنا عن الحيوان او ليس الانسان "حيواناً ناطقاً" ؟ ثم اوهمنا فوق ذلك ان العقل نصير الكفر وعدوّ الإيمان ومدعاة الانبعاث في الشرور والمفاسد الشهوانية وقد بلغ من شدة تحامله على العقل ان رماهُ بدائهِ وانسلّ

لكنك تعلم ايها المطالع ان تمييز الانسان عن الحيوان بالنطق ليس بصحيح لان الحيوانات ناطقة ايضاً بمعنى انّ لكلِ فريق منها اصواتاً معروفة عندهُ يتفاهم بها كما نتفاهم نحن بما نسميهِ نطقاً . وان المميز الحقيقي للانسان هو العقل لا غير فهو حيوان عاقل لا حيوان ناطق . اذاً عاصي العقل ومطيع الطبع ليس بانسان وهذه النتيجة مرّة لكنها لسوء الحظ صحيحة

اما القول بان العقل نصير الكفر ومدعاة الانبعاث في الشرور فهو شرُّ تهمةٍ لفقها الطبع لاصحابهِ . وكثيرون منا لنكد الطالع يتعللون حتى يومنا بمثل هذه السفاسف الصبيانية . لان اهل الغرب الذين فاقونا في الارتقاء العقلي فاقونا ايضاً في الارتقاء الادبي وما نسمعهُ عن المفاسد والشرور الفاشية بينهم لا يؤخذ دليلاً على انحطاط شأنهم الادبيّ بل هو نتيجة حرية النشر والاذاعة لكل ما يحدث عندهم ويقع بينهم ثم انهُ ليس بصادر عمن نعنيهم من اصحاب العقول الراجحة والمدارك السامية بل عن اناسٍ باقين مثلنا او احطّ منا منزلة في الارتقاء العقلي

وقد عُلم بالاختبار المدقق انّ الانسان كلما ارتقى عقلهُ ارتقت آدابهُ وصحت مبادئهُ وشرفت اميالهُ وخلصت عواطفهُ من شوائب الاهواء الحيوانية والاميال البهيميَّة . لان قواهُ العقلية المتصرفة باميالهِ تعصمهُ عن التهالك الى الخزايا وانصرافهُ الى المباحث العقلية يشغلهُ باجمعهِ ولا يترك فيهِ منصرفاً نحو الملاذ الحيوانية

اما الانسان المستعبد لطبعهِ وليس لهُ من قوى العقل ما يشغلهُ عن هوى الطبع فإنَّ الملاذ الحيوانية تجدهُ كلما طرقتهُ فارغاً معدًّا لها واذا رزِقَ غنىً وتوفّرت له أسبابُ الترف والرخاء اطلق لنفسهِ في مجال الشهوات العنان . وعاش انساناً احطَّ شأناً من الحيوان . ومات حيواناً في صورة انسان

فهنيئاً لمن سمع النصح ووعاه . واطاع عقله وعصي هواه . وطوبى لمن قصَّر في سبيل الغرور المدى . والسلام على من اتبع الهدى القاهرة اسعد داغر

مسئلة اصولية

حكم الله واجتهاد المجتهدين

قال الفخر الرازي جرت عادة الاصوليين ان يذكروا اول ابوابهم ما هو الاصل والقاعدة ثم يخرجوا عليها المسائل فنقول : اختلف الاصوليون هل لله تعالى في كل حادثة حكم واحد معين في الواقع ونفس الامر قبل الاجتهاد يرتادهُ المجتهد بالطلب بالادلة وهل هو مكلف باصابتهِ او لا. فعلى هذا اعني ان لهُ تعالى في كل حادثة حكماً واحداً معيناً في نفس الامر قبل الاجتهاد فالمصيب واحد من المجتهدين في الحكم المطلوب وغيرهُ مخطئ لكنهُ معذور لانهُ لم يقصّر في الاجتهاد بل هو مأجور لبذلهِ وسعهُ . وهذا أعني القول بان حكم الله واحد معين والمصيب واحد هو الراجح عند جماعة من المحققين وعبَّر عنهُ العلامة ابن حَجَر المكيّ في الفتح المبين وغيرهِ بالاصح وفي موضع من كتابهِ التحفة بانهُ الحق . وعليهِ فهل يتعين المصيب ايضاً ام لا فالاكثر على انهُ لا يتعين فالمصيب واحد لا بعينهِ فهو واحد لا نعلمهُ وهذا هو الراجح . وفصَّل بعضهم فقال ينظر في المجتهَد فيهِ فان خالف احد المجتهدين فيهِ النص مخالفة ظاهرة فهو المخطئ بعينهِ خطاءً لا يبلغ تضليلاً والمتمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب في الحكم لا بعينهِ . وعلى ان حكم الله في المسئلة الواحدة معيَّن والمصيب واحد غير معين يجري قول بعض ائمة الحنفية والشافعية اذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا قلنا وجوباً مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب وحينئذٍ فلا يمكن ان يقطع او يظن انهُ على الصواب بل على المقلد ان يعتقد ان ما ذهب اليهِ امامهُ يحتمل انهُ الحق . وقد صرَّح المحقق الكمال بن الهمام بما يؤيدهُ حيث قال في شرح الهداية إنَّ اخذ العامي بما يقع في قلبهِ

انهُ اصوب اولى . وعلى هذا لو استفتى مجتهدَين فاختلفا عليهِ الاولى ان يأخذ بما يميل اليهِ قلبهُ منهما وعندي انهُ لو اخذ بقول الذي لا يميل اليهِ جاز لان ميلهُ وعدمهُ سواءٌ والواجب عليهِ تقليد مجتهد وقد فعل انتهى . كلام المحقق

ومنهم من صار الى انهُ تعالى ليس لهُ حكم معين في الوقائع المجتهَد فيها قبل الاجتهاد وانما حكمهُ تعالى فيها ما ادّى اليهِ اجتهاد المجتهد وان هذا الحكم منوط بهذا السبب فما لم يوجد السبب لم يثبت الحكم . فعلى هذا كل مجتهد مصيب في الحكم والحكم متعدّد تابع لظن المجتهد . وهذا القول هو الصحيح المختار عند كثير من المحققين او اكثرهم كما قالهُ العلامة ابن حَجَر في الفتح المبين وهو المؤيد عند اهل الظاهر واهل الباطن جميعاً حتى لقد ايدهُ الحافظ السيوطي في كتابهِ جزيل المواهب في اختلاف المذاهب بما اخرجهُ البيهقي في المدخل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم مهما أُوتيتم من كتاب الله فالعمل بهِ لا عذر لاحد في تركهِ فان لم يكن في كتاب الله فسنَّة مني ماضية فان لم تكن سنة مني فما قال اصحابي ان اصحابي بمنزلة النجوم في السماء فايما اخذتم بهِ اهتديتم واختلاف اصحابي لكم رحمة

قال السيوطي عقبهُ في هذا الحديث فوائد اخبارهُ صلى الله عليهِ وسلم باختلاف المذاهب بعدهُ في الفروع وذلك من معجزاتهِ لانهُ من الاخبار بالمغيبات ورضاهُ بذلك وتقريرهُ عليهِ ومدحهُ حيث جعلهُ رحمة والتخيير للمكلف في الاخذ بايها شاء من غير تعيين لاحد . و يستنبط منهُ ان كل المجتهدين على هدىً وكلهم على حق فلا لوم على احد منهم ولا ينسب الى احد منهم تخطئة لقولهِ فايما اخذتم بهِ اهتديتم . فلو كان المصيب واحدًا والباقي مخطئًا لم تحصل الهداية بالاخذ بالخطاء

وقد أقر صلى الله عليهِ وسلم اختلاف اصحابهِ في وقائع جرت لهم في زمنهِ ولم يعترض احدًا في ما قالهُ وراَهُ مخالفًا لما قالهُ نظيرهُ وراَهُ . من ذلك قصة اختلافهم في اسرى بدر فابو بكر ومن معهُ اشاروا باخذ الفداء منهم وعمر ومن تبعهُ اشاروا بقتلهم فحكم صلى الله عليهِ وسلم بالاول ونزل القرآن بتفضيل الثاني مع تقرير الاول . ففيهِ اوضح دليل على تصويب الرأيين وان كلاً من المجتهدين مصيب . ولو كان الاول خطأً لم يحكم بهِ صلى الله عليهِ وسلم . وقد اخبر تعالى بانهُ عين حكمهُ بقولهِ لولا كتاب من الله سبق وطيب الفداء بقولهِ تعالى فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً وانما وقع العتب على اختيار غير الافضل

ومن ذلك ايضاً قصَّة اختلافهم في قولهِ صلَّى الله عليهِ وسلم حين اراد غزو بني قريظة لا يُصَلِّيَنَّ احدٌ الظهر الاَّ في بني قريظة فاختلفوا لمَّا خرجوا من المدينة وقد ضاق وقت الظهر

فصلى جماعةٌ منهم الظهر خشية فوتهِ واحتجوا بان ذلك منهُ صلى الله عليهِ وسلم كان تحريضاً على الاستعجال ولم يُرِدْ اخراج الصلاة عن وقتها فاستنبطوا من النص معنى يخصّوا بهِ ان الحصر في قولهِ الاَّ في بني قريظة اضافي لا حقيقي وأبى آخرون فلم يصلُّوا الظهر الاَّ في بني قريظة بعد العصر واحتجُّوا بانهُ صلى الله عليهِ وسلم اطلق الحصر ولم يبيّنهُ فكان المرادُ بهِ حقيقتهُ فلما بلغهُ صلى الله عليهِ وسلم اختلافهم وفعلهم لم يُنكر على أحدٍ من الفريقين واقرَّ كلاً على ما فهمهُ اشارةً الى ان الكل مجتهدون مأجورون على هُدًى من الله تعالى فلا ينسب الى احدٍ منهم خَلَلٌ ولا تقصير. وانظر قولهُ صلى الله عليهِ وسلم فايما اخذتم بهِ اهتديتم فجعل الكل مهتدين

وبما تقرر يظهر اتجاهُ القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى في كل واقعة تابع لظن المجتهد وهو احد قولين للائمة الاربعة ونسب ترجيحهُ لاكثر الشافعية والحنفية والباقلاني ولا ينافيهِ تصريح الخبر الصحيح بان للمصيب اجرين وللمخطىء اجراً لأَنهُ محمول كما قالهُ السيوطي على ان المراد الخطأ في ادراك الافضل والاولى. وقال في الشفا القول بتصويب المجتهدين هو الحق والصواب عندنا. وقال في جمع الجوامع والمتكلمون عليهِ ونعتقد ان ابا حنيفة ومالكاً والشافعيَّ واحمد والسُّفيانيين والاوزاعي واسحاق بن راهويه وداود الظاهري وسائر أئمة المسلمين كابن جرير على هدًى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم بما هم بريئون منهُ انتهى

سليمان العبد

شيخ الشافعية بالازهر الشريف

الشعراء المحافظون والشعراء العصريون

يظهر ان الشعراء آخر من يفكر في خلع القديم الخلق والتزيي بالجديد ذي الطلاوة. فمن كلِّ زمرة الشعراء والمتشاعرين الذين ينظمون الشعر او يدَّعون النظم لا تكاد ترى واحداً في المئة يحاول مجاراة العصر ونبذ القديم واقتباس الجديد وتقليد الشعراء العصريين من الامم الاخرى. والسبب في ذلك اقتصار شعرائنا على درس الشعر العربي وعدم الاحتفال بدرس الشعر الاجنبي اما لانهم يجهلون اللغات الاجنبية او لانهم يزدرون الشعر الاجنبي ويحسبون ان الاهات الشعر لا توحي بهِ الاَّ اليهم وان ما ينظمهُ الشعراء الاجانب نفاية وسفسفة حتى كأَنهُ المقصود بقول ابي الطيب حيث قال

ان بعضاً من القريض هذاءٌ ليس شيئاً وبعضهُ أحكامُ

منهُ ما تجلبُ البراعةُ والفضلُ ومنهُ ما يجلبُ البرسامُ

ومن الغريب ان مزية نظم الشعر العربي الجيد واتقان اللغات الاجنبية لا يلتقيان في شخص واحد او قلما يلتقيان فكانهما ضرَّتان او ضدَّان لا يجتمعان او كأن الاهات الشعر لا توحي بهِ الاَّ الى الذين لا يعرفون لغة اجنبية غيرة منها على شرف اللغة العربية . ومن خرج عن ذلك فشاذٌّ لا يبني عليهِ حكم كالشاعر احمد بك شوقي فانهُ شاعر عربي وعارف لغة اجنبية وديوانهُ شاهد لهُ بمقدرتهِ على تقليد الشعراء الغربيين وخصوصاً ما نظمهُ على السنة الحيوانات حاذياً في ذلك حذو لافونتين وغيرهِ وقد اغتنمت فرصة تدريسي في المدرسة الكلية ببيروت السنة الماضية فكنت اعلِّم التلامذة القصائد المذكورة غيباً على كره بعضهم لها جهلاً ولو عدَّ الشعراء المحافظون نظم صاحبها لها وتعليمي اياها مروقاً من مبادىء حزبهم كما سمعتهُ من افواه بعضهم

نشرتم لي في المقطم بعض قصيدة في مقالة من سلسلة مقالات بعنوان " هنا وهناك " . وقد اقترحت على السادة الشعراء اكمالها فجاءني كتاب من شاعر مجيد صديق قال فيهِ انهُ آخذ في تلبية طلبي ولكنهُ رأى، ان يوجه خاطري الى مصراع في قصيدتي وينتقد عليَّ المعنى المتضمن فيهِ . اما البيت فهو

ونفورٍ وخفَّةٍ والتفاتٍ كظباءٍ يمرحنَ في بستانِ

وملخص الانتقاد اني لو جعلت الظباء تمرح في وادٍ او كثيبٍ او منعرج او منعطف او على هضبة او اكمة لكان ذلك اوجه لاننا لم نعتد رؤية الظباء تمرح في البساتين والحدائق اذ هي حيوانات برية وحشية لا اليفة انسية . فما ينتقدهُ صديقي عليَّ هو عين ما اردت توجيه الانظار اليهِ والبحث فيهِ للتحذير منهُ

يقول صاحبي اننا لم نعتد رؤية الظباء تمرح في البساتين والحدائق بل في الاودية ومنعطفاتها والكثبان ومنعرجاتها . فأسألهُ كم ظبياً رأى في زمانهِ اما انا فلم ارَ في زماني ظبياً في وادٍ او على هضبة او اكمة ولن أؤمل ذلك لانهُ لا يتسنى الاَّ لصيَّاد في بلاد ترودها الظباء وتكثر فيها الغزلان. على اني رأيتها تنفر وتلتفت وتمرح في بستان فنظمت ما نظمت في ما رأيت اما هو فسمع بنفورها وتلفُّتها ومرحها مما نظم هذا الشاعر وذاك وعليهِ ينظم ما ينظم في ما يسمع . وما راءٍ كمن سمع

والبستان الذي رأيت الظباء تلتفت وتنفر فيهِ بستان الحيوانات في الجيزة بمصر . ولو ذهب صاحبي الى هناك لصدَّق خبرهُ الخبر ولوافقني على مصراعي بيتي . ولكنهُ يفضّل بقاء

القديم على قدمهِ ويحسب ان الالهام لم يهبط الأ على الشعراء الاقدمين وان ما ينظمهُ ابناؤُهم هذاء في هذاءٍ جارياً مجرى انصار الفلسفة القديمة فلسفة ارسطو واتباعهِ فانهم كانوا يسلمون بمبادئها وقواعدها تسليم الاعمى بحجة ان ارسطو ذهب اليها وهو معصوم من الغلط لا بناءً على المشاهدة والاختبار والامتحان اركان الفلسفة الجديدة التي قلبت الاولى ظهر المجن ووضعت اساساً ثابتاً مكيناً للعلوم والفنون الحديثة

ومما يجمل ذكرهُ في هذا الصدد اني كنت اكلم عالماً فاضلاً ببعض الامور العلمية والادبية فورد ذكر الشعر والشعراء عرضاً فجعلنا نقابل الشعر العربي بالشعر الافرنجي ونبين الفرق بينهما فقال ان السر ولتر سكوت الشاعر الانكليزي المشهور كان اذا اراد وصف جدول ماء مثلاً قصدهُ ليراهُ بعينيهِ ثم رسمهُ على قطعة ورق بما على ضفتيهِ من الحصى والاحجار والاشجار كأنهُ مصوّرٌ لا شاعر . ثم شرع في وصفهِ شعراً حتى اذا قرأ احد ذلك الوصف امكنهُ تصوُّر الجدول في مخيلتهِ تصوراً واضحاً كأنهُ يرى صورتهُ الحقيقية امامهُ . اما شعراؤُنا فقضوا ايامهم في مدح فلان وذمّ فلان واذا خطر لاحدهم ان يصف منظراً طبيعياً او حادثة ما وصف كما سمع من هذا وذاك وقلما يحكم وصفهُ ويدقق في التفصيل .

فوافقتهُ على ما قال وقلت اني لا اكاد اتذكر شاعراً من شعراء العرب دقق التدقيق الواجب في وصف حادثة شاهدها غير المتنبي في وصف الاسد وما جرى بينهُ وبين بدر بن عمَّار في قصيدتهِ التي مطلعها

في الخدّ ان عزم الخليطُ رحيلا مطرٌ تزيد بهِ الخدود محُولا

حيث يقول

امعفر الليث "الشديد" بسوطهِ لمن اذّخرت الصارم المصقولا

الى آخر ما هناك من الوصف الدقيق الذي لا يقرأهُ احد الأ ارتسمت هيئة الاسد واضحة في ذهنهِ فاستطاع رسم صورتهِ على الورق ولو لم يكن قد رآهُ في زمانهِ

ومما يؤاخذ شعراؤُنا بهِ ان يذكروا في قصائدهم اسماء اماكن في بلاد العرب لم يروها بل لم يروا احداً رآها . ولو اقتصر الامر على ذلك لهان ولكنهم يجهلون مواقعها وطبيعة ارضها واقليمها وسائر ما يتعلق بها وربما لم يكن الجغرافيون وعلماء تخطيط البلدان ومسَّاحوها ومشاهير الافاقين والسيَّاح والمكتشفين اكثر علماً منهم بها وبحقيقة مواقعها وانما اكثر شعراء العرب ذكرها لانها قسم من بلدانهم فان كانت جبلاً فكم استجاروا واعتصموا بهِ او سهلاً فكم حدوا عيسهم فيهِ او عين ماءٍ فكم وردوها وأرووا ظمأهم بمائها او مطمئناً من الارض فكم اناخوا ركائبهم

فيهِ للمبيت او دوحة فكم تفيأُوا ظلها للمقيل او طللاً دارساً فكم مرحوا فيهِ وطربوا ايام كان ربعاً زاهياً . فما لشعرائنا يطيلون الوقوف على الاطلال وما لهم ولذكر العقيق والابلق ودار مية ووجرة وكاظمة والعذيب وبارق والمنحنى ووادي الغضا وهم لا يعرفون منها الاَّ اسماءها . وقد كان كثيرون من شعراء الاسلام يكثرون ذكر بعضها في قصائدهم ويبالغون في مدحها لعلاقتها بصاحب الرسالة الاسلامية . فان كثيراً منها لم يكن يستحق المدح في حد نفسهِ كعين وجرة فانها عين سخينة الماء قليلة النزّ لا تنقع غلّة ولا تشفي علّة مرتعٌ للوحش في سبسبٍ من الارض لا يسكنهُ انسٌ ولا يأوي اليهِ جنّ . ولا الوم الشاعر العربي اذا مدحها واعجب بها ما شاء فكم اروى بها الظمأ هو وقومهُ بعد اجتياز المفاوز والسباسب الجافَّة من حولها . ومهما كان الماء أُجاجاً آسناً وجدهُ اذ ذاك عذباً زلالاً . فمدحهُ للماء من قبيل الاقرار بالمعروف وعرفان الجميل

فما احرى الشاعر المصري ان يتناسى وجرة وماءها ويتغزل بالنيل ما شاء ويعجب بهِ ما شاء وهو ابو مصر وروحها وحياتها وسبب وجودها وهي ابنتهُ كما لقبها هيرودوتس المؤرخ الشهير . بل ما اجدر الشاعر العراقي ان يقف شعرهُ على مدح الفرات ابي الممالك القديمة الاثيلة ممالك الكلدان واشور وبابل . بل ما اخلق الشاعر الشامي ان يسدل حجب النسيان على وجرة والعذيب وعندهُ عيون لبنان وينابيعهُ الشهيرة يتدفق منها الماء الشبم السلسبيل تدفق ماء النيل كراس العين ونبع العسل ونبع اللبن ونبع القاع والصفا والباروك من العيون التي يقلّ نظيرها تحت الخضراء

هذا وبدلاً من ان نلجأ الى الرصافة والجسر في قول الشاعر "عيون المها بين الرصافة والجسر" عند قصد التغزل والتشبُّب لماذا لا نقول "عيون المها بين الجزيرة والكبري" في وصف المناظر التي تلوح لعين الناظر بين كبري قصر النيل والجزيرة المشهورة في يوم سرحت ظباؤُهُ وصفت سماؤُهُ واعتلَّ نسيمهُ وراق اديمهُ . أَلا يكون الوصف اذ ذاك اكثر مطابقة للحقيقة . أَفي شبه جزيرة العرب كلها منظر يقرب بهاء وجلالاً من منظر الجزيرة والنيل مقيل الاقيال العظام من فرعون مصر القديم الى عزيزها الجديد

هذا بعض ما جال في الخاطر عن الشعر والشاعر وقد استأْذنت صديقي في نشر انتقادي على صفحات المقتطف الاغرّ فأَذن ووعد بالردّ . ولي كلمة بعدُ على الكتابة والكاتب ارجئها الى فرصة اخرى

نجيب شاهين

جزيرة مدله

بلاد دفنيس وكلويه (١) الجزيرة القديمة التي احتلها الجنرال كليار عقب الخلاف الذي حدث اخيرًا بين فرنسا وتركيا بسبب ارصفة الاستانة وديون لورندو وتوبيني وغيرها مجهولة اليوم بقدر ما كانت مشهورة في الزمن السابق وقد اردت ان اذكر عنها بعض الشيء تفكهة للقراء الكرام فاقول

هذه الجزيرة صغيرة الأ انها قد ابقت في بطون التاريخ ذكرًا مجيدًا ولليونان عن نسائها اقاصيص غريبة في العشق والغرام اشهرهنَّ صافو وقد نبغت في صناعة الشعر لا سيما الغرامي منهُ حتى صار اسمها عنوانًا لذوات الغنج والدلال . وهي احدى جزر الارخبيل الرومي ولا تبعد كثيرًا عن ازمير . وقد امتلكتها جمهورية البندقية في عهد الحروب الصليبية مع غيرها من الجزر وبقيت في حوزتها حتى القرن الخامس عشر حين انتزعها منها الاتراك . عدد سكانها الآن ٧٠٠٠٠ تقريبًا لكنها لقلة اهميتها لا ترسو فيها السفن الاوربية بل تدور حولها وكذلك السياح فانهم يقصدون صاقص وازمير و يشاهدون البلاد التي اشتهرت بحروب تروادة ولكنهم قلما يعرجون على مدله وان دخلوها فلا يطيلون الاقامة فيها . زارها منذ عهد قريب احد الفرنساويين واسمهُ المسيو لوني أرسلتهُ حكومتهُ بمأمورية اليها وكان قد زارها قبلهُ اثنان من علماء الالمان وشاهدا آثارها القديمة التى ابقى عليها الاتراك ولم تدمرها قنابل البنادقة

وقد اخذت الحمية احد سكان تلك الجزيرة الاصليين وهو المسيو جيورجياكس فجمع شتات تقاليدها واقاصيصها واناشيدها الوطنية التي يتناقلها الاهالي خلفًا عن سلف في كتاب نفيس ساعدهُ في وضعهِ احد علماء الفرنسيس المسيو بينوى . الا ان تلك الابحاث لم تتجاوز دائرة المعارف التي تهم المشتغلين بالعلوم اليونانية القديمة . واما جمهور القراء فيهمهُ الوقوف على احوالها الحاضرة

سكانها الحاليون قوم من اليونان يقربون كثيرًا من الشرقيين في عوائدهم واخلاقهم ولم يتغيروا عما كانوا عليهِ في السابق عند ما كان يأتيهم الليديون (٢) للمتاجرة في الاقمشة الحريرية ثم يقلعون الى اثينا . ومعيشتهم الآن ربما تكون اكثر بساطة عن ذي قبل ونفوسهم

---

(١) دفنيس وكلويه اسمان لفتى وفتاة Daphnis & Chloé اشتهرا في الروايات اليونانية القديمة بحبهما العذري وكانا يسكنان تلك الجزيرة

(٢) الليديون قوم كانوا يسكنون اسيا الصغرى اشهر ملوكهم كريسوس الغني الذي اسرهُ الفرس

اشد اعتزالاً عن الدنيا وزخارفها مع حب للسلام يضمن لهم راحة الضمير التي هي سعادة المرء في هذه الحياة الدنيا . ومناظر مدله الطبيعية جميلة تروق الناظر وتقر الخاطر وحسبك منها جبل شائخ يدعوهُ الاهالي جبل مار الياس فاذا جاء الشتاء كساهُ بثوب من الثلج ناصع البياض فضلاً عن التلال الصخرية التي تشرف على البحر من كل جانب . وتجلى الجزيرة كلها للداخل كعروس اتشحت بثوب سندسي يزيدها جمالاً وبهاء . وهناك كثير من اشجار البلوط والحور الذي يناطح برؤوسهِ عنان السماء والجوز الذي لا تخلو منهُ بقعة ومن التوت البري سياجات كثيفة وفيها غابات منمقة ارضها بشقائق النعمان بلونها الاحمر القاني . واذا اتجهت نحو الشاطىء وجدت ازهارًا من جميع الاشكال والالوان وكثيرًا من شجر الزيتون وهو من اهم محصولات الجزيرة . هذا فضلاً عن المراعي الخصيبة وما فيها من القطعان . وعلى الشواطىء تكثر الاصداف الجميلة ذات اللون الارجواني

هذه هي الجزيرة التي كانت تسكنها صافو الشهيرة . وملابس نسائها كملابس نساء الشرق في الرونق والبهاء وترى الفتيات معجبات بشعورهنَّ السوداء وهنَّ يضفرنها ضفائر يرسلنها وراء ظهورهنَّ وكلما زادت الضفائر طولاً زدن بها اعجابًا ودلاً . ومن اعتقاداتهنَّ القديمة انهنَّ في ليلة اول مايو يضربن ظهورهنَّ وهي عارية بنوع من القراص يزعمن انهُ يزيد في نماء شعورهنَّ . وفي ذلك اليوم ايضًا من كل سنة يذهبنَ جماعات وسط الليل البهيم الى الحقول وهنَّ ينشدن اناشيد الفرح والسرور فيقطفن منها الازهار بقدر ما يقدرن على حملهِ والتي تسمع صوت طائر الطاطوى قبل رفيقاتها تستبشر بالخير والسعادة . ثم يرجعن الى منازلهنَّ وسكان القرية نيام وهناك يضفرنَ اكاليل وباقات من الزهر ويعلقنها بالكوى والابواب وهي مغلقة . وفي الصباح عند شروق الشمس يتجلى الربيع ببهجتهِ وبهائهِ في المدينة كلها ناشرًا اعلامهُ وروائحهُ الذكية على يد اولئك الفتيات الحسان . فاذا بزغ فجر اليوم الاول من شهر مايو نهض الاهالي من رقادهم واسرعوا في لبسهم وتخرج النساء مزينات شعورهنَّ بشقائق النعمان علامة الابتهاج والرجال يرفلن بافخر الملابس متشحين بصدرة سوداء مزررة على شكل مستدير وفي وسطهم حزام قرمزي وعلى رؤوسهم قبعة جديدة . وفي كل قسم من اقسام المدينة تطوف في الشوارع امرأة عجوز حاملة كأسًا من العسل تغمس فيهِ اصبعها وتمس بهِ العذارى في جباههن ليصرن مثل العسل عذوبة في اعين خطابهنَّ

ويتزوج الفتيات في الثانية عشرة من عمرهنَّ اذا استكملن جهازهنَّ وتضطر كل فتاة ان تخيط جهازها بيديها فالحاذقة منهنَّ هي التي تكثر من الزينة في ملابسها وتحسن تنميقها

وينسجنَ بانفسهنَّ جميع قطع ثيابهنَّ كالقمصان والصداري والسراويل المنتفخة والملآت والشراشف والاسمطة والاقمشة المنضمة السدى او المتراخيتها الملونة وغير الملونة . كل ذلك تحيكهُ تلك الانامل اللطيفة

وقد تمر على الفتاة الشهور والاعوام في اتمام هذا العمل ويكون الرضي والقبول في الزواج بين الفتى والفتاة ولا يؤخذ رأي الاهل الاَّ بعد اتفاقهما فاذا وافقوا على ذلك تجتمع العائلتان ويأتي الكاهن لكتابة عقد الزواج وليبارك الزوجين و يطلب لهما سعادة الدارين . وقبل العرس بيوم تجتمع صديقات العروس في غرفتها ويقمن باعداد ما تحتاج اليهِ من ثياب وحلى وينشر الجهاز ثم يدخلها رفيقاتها الى الحمام و يصبغن اظافرها بالحناء . والعيد عيدها فان العرس لها وهي التي تسود اما الزوج فيأتي بعدها في الاهمية

ومن عوائد اليونان القديمة التي لم تزل مرعية في هذهِ الجزيرة عادة تقضي بجعل المرأة رأساً للعائلة والابنة الاولى الوارثة الوحيدة لوالديها وقد ترث في حياتهما فانهُ فضلاً عن الصداق الذي تأخذهُ والجهاز التي تكون قد حاكتهُ تستولي شرعاً على منزل ابيها يوم قرانها فيرحل الاب مع بقية العائلة الى منزل آخر

ومتى تمَّ الاحتفال في الكنيسة يجتمع الحضور عند العروسين وتقوم فتاة على الباب وكلما حضر واحد من المدعوين تضع في فيهِ معلقة من الحلوى رمزًا للافكار اللطيفة التي يقتضي ان تمر في بالهِ عند ما يخطو عتبة الدار

افليس في كل هذه العادات البسيطة ما يصور للذهن حالة هيئة اجتماعية سعيدة لا تخامرها الاكدار والشواغل التي تنغص عيش امم اوربا وتبدل نعيمها بؤساً . فلسبوس القديمة جزيرة سعيدة وليس فيها احد على غنى واسع ولا منها فقير مدقع فان الارض مقسمة بين العائلات بنسبة متساوية وهيهات ان تجد فيها رجلاً لا يملك حقلاً او ليس في منزلهِ خبز وزيت طيب والهواء هناك معتدل تحسن فيهِ الزراعة وتسهل الاعمال وتطيب الراحة بعدها. ومنازل الجزيرة مسقفة مدهونة من الخارج بالوان مختلفة تحتوي على غرف فسيحة مفروشة بالبسط التي ينسجها النساء من صوف المعزى . وحول الجدران مقاعد يجلس عليها الضيوف فتقدم لهم القهوة التركية والحلويات والفواكه النضرة

وعاصمة الجزيرة متيلين (مدله) وهي في بقعة تشبه الاسكندرية تماماً . وكانت مبنية في السابق على شكل درجات بعضها فوق بعض في شبه جزيرة تكاد تنفصل عن البر لا يوصل بينها وبينهُ الاَّ جسور من الحجر الابيض . وعلى جانبيها مرفآن متساويان وعلى

توالي الايام امتلأ قاعاهما بالرمال فنتج عن ذلك برزخ ارتفعت ارضهُ بين المرفأين وامتدت اليهِ المدينة الجديدة فلم يبقَ للمدينة القديمة اثر والمدينة الجديدة صغيرة ونظيفة طرقها معوجة يخترقها كثير من الحارات والازقة . واذا نظرت اليها عن بعد رأيت المنازل ذات الوان زرقاء وحمراء وصفراء تزين سفح الجبل الذي تعلوهُ القلقة وحولها غابة من شجر الزيتون تلتف كالعصابة يأتي هذه المدينة الفلاحون من داخل الجزيرة ليبيعوا لتجار الاجانب زيت زيتونهم ونبيذ كرومهم نبيذ لسبوس الشهير في الازمان الغابرة و يبيعونهم الحرير والتين والجلود والعسل والخراف والنعاج وهذه التجارة على قلتها تكفي حاجات اهل الجزيرة فانهم لا يعرفون شيئاً من اسباب الترف ولا يخزنون كنوزاً سوى عسل نحلهم الذي يجعلونهُ رمزاً للذة والسعادة

زكي حاتم
بنظارة الاشغال العمومية بمصر

طوائف الناس

أهمُّ ما يدور عليهِ علم الانسان البحث عن طوائف الناس عن اصلهم وطبائعهم وتفرُّقهم على وجهِ البسيطة

اما من حيث الاصل الذي تولدت منهُ طوائف الناس المختلفة فالمرجح عند العلماء الآن انهُ واحد غير متعدد لان ما يُرَى من الفروق بين هذه الطوائف لا يكفي لجعلها انواعاً قائمة بذاتها . وزدْ على ذلك انها تستطيع كلها ان تتزاوج بعضها مع بعض وتتوالد ونسلها يتزاوج ويتوالد ايضاً وهذا لا يكون في الانواع المختلفة فهي من نوع واحد واصل واحد

وكان القائلون ان طوائف الناس ليست من اصل واحد بل من اصول مختلفة يحتجُّون على صحة قولهم بان حداثة عهد الانسان في هذه الدنيا على ما جاء في التوراة تمنع ان تكون طوائفهُ كلها من اصل واحد لان بضعة آلاف من السنين لا تكفي لما يرَى من البعد الشاسع بين الزنجي والابيض وبين القوقاسي والمغولي ولكن لما ثبت ان الانسان قديم يمتدُّ تاريخهُ الى الوف كثيرة من السنين ضعف مذهب تعدُّد الاصول واعتُمد مذهب الاصل الواحد

ثم اعاد بعض العلماء الكرَّة على مذهب الاصل الواحد محتجين باختلاف اللغات فانهم وجدوا ان هذا الاختلاف اصلي فيستحيل ردها كلها الى اصل واحد وهذا يدل على ان طوائف الناس مختلفة اصلاً إما انها مخلوقة في اوقات مختلفة واماكن متباينة او مرتقية من اصول

مختلفة من الحيوانات في امكنة وازمنة مختلفة . وانهُ ان كان اصل الانسان واحدًا فقد اختلفت طوائفهُ وتفرقت قبلما استطاع النطق فجاءت لغاتهُ مختلفة اصلاً

وخلاصة مذهبهم ان طوائف الناس مرتقية من طائفة كبيرة من القرود كانت تسكن بلادًا وسيعة من البلدان الحارَّة فارتقت رويدًا رويدًا وهي تنمو وتزيد انتشارًا وتنوعت اصواتها الى ان كثرت مقاطعها وتركبت منها الكلمات فصار لكل فريق منها لغة قائمة برأسها

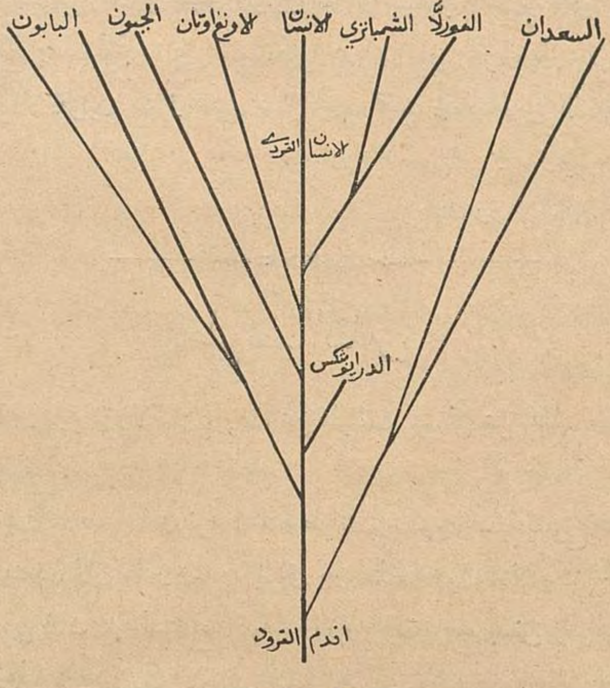

(ش ١)

وقد اختلفوا في الاصل الذي ارتقى منهُ الانسان وفي شجرة نسبهِ وقرابتهِ الى القرود الشبيهة بهِ واحدث شجرة صُنعت لذلك شجرة النسب التي وضعها الاستاذ دبوى مكتشف آثار الانسان القردي في جزيرة جاوى على ما ابنا في الصفحة ٢٦٢ من المجلد العشرين من المقتطف وقد رسمنا هذه الشجرة هنا . فالانسان القردي هو الذي اكتشفت آثارهُ في جزيرة جاوى وهي ضرس وقحف وقصبة ساق والضرس اشبه باضراس الانسان والقصبة مثل قصبات سوق البشر تماماً وقحف الرأس متوسط في شكلهِ واتساعهِ بين قحف رأس الانسان الاوربي وقحف رأس القرد المعروف بالغورلاَّ كما ترى في الشكل الثاني فان الخط الاعلى المتصل رسم قحف

رأس الانسان والخط الاسفل المنقط نقطاً صغيرة تحف رأس الغورلاَّ والخط الذي بينهما رسم القحف الذي وجدهُ الاستاذ دبوى وقال انهُ من رأس الحلقة المفقودة او الحيوان المتوسط بين القرد والانسان

ويظهر من شجرة النسب المرسومة في الشكل الاول ان انواع القرود المعروفة الآن مشتقة هي والانسان من اصل قديم جدًّا سميناهُ اقدم القرود ويسمَّى علميًّا ارتشيبثكس والبعيد فيها عن الانسان متفرّع قبل القريب منها اليهِ . وقد حدث هذا التفرُّع في العصور الجيولوجية القديمة منذ ملايين كثيرة من السنين كما يظهر من الآثار الكثيرة الباقية في طبقات الارض

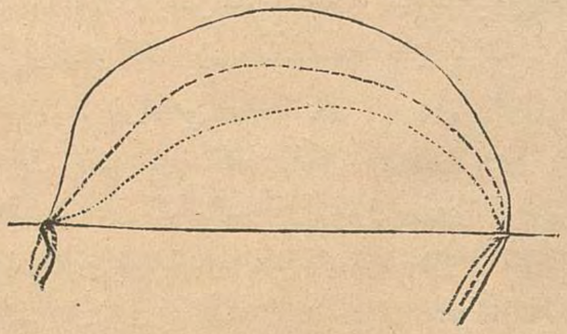

(ش ٣)

وما يقولهُ الاستاذ دبوى ومن جرى مجراهُ من العلماء لا يؤْخذ قضية مسلمة لا ينازع فيها بل ان جمهورًا من العلماء المحققين ينازع فيها كل المنازعة ويذهب الى ان العظام التي وجدها ليست من عظام الانسان . بل لا يزال فريق منهم يعتقد ان الانسان خُلق مستقلاً عن غيرهِ من انواع الحيوان . وليس من عرضنا الآن ان نطيل البحث في هذا الموضوع وانما ذكرنا ما ذكرناهُ تمهيدًا لبحث اقرب منهُ تناولاً وهو اختلاف طوائف الناس ومميزاتها بعضها عن بعض جسدًا وعقلاً فان هذا الاختلاف موجود محسوس مهما كان سببهُ يراهُ الرائي واضحًا في القامة والشكل واللون ويقيسهُ علماء الانسان بالخطوط والزوايا والمساحات واكثر اعتمادهم على قياس الجمجمة ولون الجلد ولون الشعر وقوامهِ والاختلافات العقلية . وكان القدماء يعتمدون في تقسيم طوائف الناس على اللون خاصة فقسمهم برنير سنة ١٦٧٢ الى اربعة اصناف اصلية وهم البيض الاوربيون والصفر الاسيويون والسود الافريقيون واللاب الشماليون . وقسمهم لينيوس النباتي الى اربعة ايضاً وهم البيض الاوربيون والصفر الاسيويون

والسود الافريقيون والسمر الاميركيون. وجرى غيرها على تقاسيم أُخرى وكثر النزاع بينهم الى ان نظر بعضهم في شكل الراس وجعله مميزًا لطوائف الناس بعضها عن بعض فقسموا الى مصفحي الرؤُوس اي الذين ضغطت رؤُوسهم من اصداغهم حتى طال ما بين الجبهة والقفا والى مسفطي الرؤُوس اي الذين رؤُوسهم مضغوطة من قفاها حتى طال ما بين الصدغين. والى بارزي الفم وغير بارزيهِ. وهذا التقسيم غير فاصل لاننا نرى تصفيح الرأس وتسفيطهُ بين كل الطوائف ولو غلب الاول على الطوائف الاوربية والافريقية والثاني على الطوائف الاسيوية

وقد كثر اعتماد علماء الانسان على اختلاف الشعر لونًا وشكلاً في تقسيم طوائف الناس وتكاد دلالتهُ تكون ثابتة دائمًا فبعض الطوائف شعرها سبط كالصينيين وهنود اميركا وبعضها شعرها جعد قليلاً او كثيرًا كالاوربيين وبعضها شعرها مفلفل كالزنوج. ويختلف لون الشعر من الاسود الفاحم الى الاصفر الذهبي او الكتاني

وقد بقيت فروق أُخرى كثيرة كالقامة وشكل العين ولونها ووضعها وجرم الدماغ وثقلهِ وشكل الانف والفم والشفتين وكلها يُعتمَد عليها في الفرق بين طوائف الناس. هذا من حيث الفروق الجسدية اما الفروق العقلية فاولها اللغة وهي مرآة عقل الامة وخزانة معارفها فضلاً عن دلالتها على اختلاف ثابت في اعضاء النطق حتى ان ابناء اللغة الواحدة لا يستطيعون ان يحسنوا نطق لغة بعيدة عن لغتهم ولو ولدوا بين اهلها كما ترى في الاوربيين الذين قطنوا بلدان المشرق والزنوج الذين خالطوا العرب. ويقال ان اليهود الذين استوطنوا اوربا منذ قرون كثيرة لا يزال لفظهم للغات الاوربية يمتاز عن لفظ الاوربيين لها حتى يومنا هذا

وقد ردَّ الاستاذ فلوَر ومن جاراهُ من العلماء طوائف الناس الى ثلاثة اصول وهي الاصل الزنجي ومنهُ اكثر سكان افريقية والاصل المغولي ومنهُ اكثر سكان اسيا والاصل القوقاسي ومنهُ اكثر سكان اوربا وتتضح الفروق بينهم من هذا الجدول والرقم (١) فيهِ للاشقر و (٢) للاسمر

	الزنوج	المغول	القوقاسيون
الجلد	ناعم املس بارد تفوح منهُ رائحة خاصَّة ولونهُ اسود فاحم	خشن الملمس مصفرٌّ يتدرَّج الى اللون الزيتوني	(١) ابيض مشرب حمرة شفاف يشف عن العروق التي تحتهُ (٢) اصفر او اسمر يتدرَّج الاول الى اللون الزيتوني والثاني الى الاسمر الغامق

	الزنوج	المغول	القوقاسيون
الشعر	اسود فاحم مفلفل او صوفي قصير قطعهُ مسطَّح واللحية خفيفة او مفقودة	اسود قاتم ثخين لا لمعان له يطول كثيرًا في سكان اميركا الاصليين . قطعهُ مستدير الشاربان طويلان واما اللحية فكوسج او مفقودة	(١) كتاني اللون او اشقر او احمر طويل متموج حريري (٢) اسود او فيهِ شقرة قليلة سبط او مفتول او اجعد مقطعهُ بيضي واللحية كاملة
الراس	الراس مصفح وقد يكون عالي القحف بارز الشدق عالي الوجنتين كبير العينين جاحظهما اسودهما مصفر القرنية افطس الأنف عريضهُ غليظ الشفتين اهدلهما	الراس مسفط مستدير لكن دائرتهُ ليست تامَّة غير بارز الشدق كبير عظم الخدين اسود العينين ضيقهما لوزيهما صغير الانف اخنسهُ عريض الوجه مسطحهُ	(١) مصفح الراس (٢) مسفط وكلاهما غير بارز الشدق والعين زرقاء او شهلاء او سوداء برَّاقة والانف طويل دقيق اشمُّ او اعقف والفم صغير والشفتان رقيقتان والوجه بيضي
القامة	القامة طويلة فوق الوسط من متر و٦٧ سنتمترًا الى متر و ٧٨ سنتمترًا وقد تبلغ مترًا و٨٣ سنتمترًا والعظام كبيرة ثخينة ولكن الاطراف السفلى صغيرة	قصيرة في الغالب تحت الوسط من متر و٥٢ سنتمترًا الى متر و٧٠ سنتمترًا لكن الفرع الاميركي طويل جدًّا في الغالب والعظام غليظة والجسم ممتلئ بدين ولا سيما في البلدان العالية كبلاد التبت طولهُ متر و٨٣ سنتمترًا	(١) طويلة فوق الوسط من متر و ٦٧ سنتمترًا ومتر و٧٨ سنتمترًا الى متر و ٨٣ سنتمترًا (٢) تحت الوسط من متر و ٥٨ سنتمترًا الى متر و٦٥ او ٦٨ سنتمترًا (١) غليظ العضل قوي (٢) نحيف سريع الحركة
الاخلاق	شهواني سخيف العقل كثير السرور كثير الجلبة ساعاتي ينتقل بغتة من السرور الى الغيظ وفيهِ الشفقة والقساوة معًا لا علم لهُ ولا صناعة ولا ادب	بليد كئيب سكوت ضعيف الهمَّة ولكنهُ جلود ويندفع احيانًا عن غير تدبُّر . علمهُ قليل وفنونهُ وآدابهُ في درجة متوسطة	شديد التصوُّر عالي الهمَّة كثير الإقدام ولذلك يخاطر ويتكسَّب (١) حازم جلود (٢) او متسرِّع ضجور. رقي العلم والفنون والآداب

	الزنوج	المغول	القوقاسيون
اللغات	اللغات متقاربة فيها زوائد متشابهة قليلة الكلمات الموضوعة للمعاني المجرَّدة	بعضها مستقل غير متصرّف وتكثر فيهِ الكلمات التي من مقطع واحد وبعضها متقارب تكثر فيهِ الملحقات المتماثلة و بعضها مركَّب الكلمات وهي كثيرة الكلمات الموضوعة للمعاني المجرَّدة	اكثرها متصرف بملحقات تلحق اواخر الكلمات وتمتزج بها ولذلك فاكثر كلماتها مركبة و يسهل تحليلها وردها الى اصولها والكلمات الموضوعة فيها للمعاني المجرَّدة كثيرة لا نهاية لها
الاديان	تكثر فيها عبادة الطبيعة والموجودات والسحر	متعددة الآلهة وعبادة الارواح الاعتقاد بالاحلام والرؤَى وفريق كبير بوذية	موحدة تعتقد بالوحي وعندها الكهنة او خدمة الدين . وفريق كبير برهمية

والفرع الزنجي يسكن افريقية من شرقيها الى غربها ويمتد جنوبًا الى اطرافها الجنوبية وشمالاً الى نحو الدرجة ٥ من العرض الشمالي . و يسكن ايضاً جزائر الاوقانوس كغينيا الجديدة وكيلدونيا الجديدة وفيجي . و يسكن بين الفرع الزنجي اقوام قصار القامة يسمون بالنيجريتو او الزنوج الصغار ولعلهم اقدم في البلاد التي هم فيها من الزنوج . ومنهم اقزام الكنغو وبشمن جنوبي افريقية و بعض سكان جزائر فيليبين وشبه جزيرة ملقا وجزائر اندمان وجزيرة غينيا الجديدة . ويخالفون غيرهم في كون رؤُوسهم مسفطة اي ضيقة من الامام الى الوراء فضلاً عن قصرها

والفرع المغولي يسكن القسم الاكبر من نصف الكرة الشرقي ومنهُ كل سكان اميركا الاصليون . واشهر اقسامهِ اولاً التتار المغول الساكنون شمالي اسيا واواسطها واسيا الصغرى وبعض روسيا وشبه جزيرة البلقان . وثانيًا سكان بلاد التبت وسكان الصين الاصلية واليابان والهند الصينية . وثالثًا سكان فنلندا ولابلندا وجبال اورال وشمالي سيبيريا وبلاد المجار . ورابعًا القسم الملقي ومنهُ سكان شبه جزيرة ملقًا وجزائر السند ومدغسكر وجزائر فيلبين وفورموسا وزيلندا الجديدة وساموى وتهيتي وهواي . وخامسًا كل هنود اميركا اما الاسكيمو والاينو فمن المغول لكنهم شاذُّون عنهم كثيرًا

والفرع القوقاسي و يقال لهُ ايضاً فرع البحر المتوسط لانهُ استوطن اولاً سواحل البحر المتوسط في اسيا واوربا وافريقية انتشر حديثًا في اميركا الشمالية والجنوبية وجنوبي افريقية واستراليا واشهر اقسامهِ (١) الآريون سكان الهند وايران وارمينية وبر الاناطول واكثر

اوربا ويدخل تحتهُ الهنود والافغان والفرس واهالي بلوخستان والارمن واليونان والطليان والسلت التوتون والسلاف و(٢) الساميون سكان العراق وسورية وبلاد العرب وشمالي افريقية ومنهم السريان والعرب والفينيقيون والاحباش و(٣) الحاميون سكان شمالي افريقية وشرقيها ومنهم القبط والبربر والتوارك والبجاة والبشاري والدناكل والصومال و (٤) القوقاسيون الاصليون ومنهم الشراكسة والابكاسيون و (٥) الباسك سكان جبال برنيز الغربية

(ش ٣)

(ش ٤)

وكما تكثر اللغات في بلاد بكثرة الفواصل بين سكانها وقلة وسائل المخالطة وتقل بنزع الفواصل منها وتقريب المواصلات كذلك تكثر الفروق بين طوائف الناس حتى يظهر انهم من فروع مختلفة ما داموا منفصلين بعضهم عن بعض وتقل حتى يصيروا كلهم كشعب واحد اذا كثر امتزاجهم بعضهم ببعض ولذلك فالشعوب كثيرة مختلفة في البلدان التي يقل امتزاج الناس فيها وقد كانت في العصور الغابرة اكثر مما هي الآن

وقد صنع الاستاذ منتغزا شجرتين لطوائف الناس اوضح في الواحدة منهما نسبة الفروع بعضها

الى بعض في سلَّم الارتقاء كما ترى في الشكل الثالث المرسوم في الصفحة السابقة وتظهر منهُ نسبة طوائف الناس بعضها الى بعض من حيث ارتقاء البنية فانهُ وضع النجريتو والبشمان والهوتنتوت والبابوان والزنوج في اسفل هذه الشجرة وجعلهم متفرعين من فرعين كبيرين وجعل الاستراليين والتسمانيين فرعاً آخر فوق فرع الزنوج. والاسكيمو والساموى واللاب والمجار والفن من فرع آخر قريب من فرع الاستراليين. وقسم اعلى الشجرة الى فرعين كبيرين في اوطإِهما اليابانيون والصينيون والملقيون وهنود اميركا وفي اعلاهما الآريون والساميون والبولينيزيون سكان جزائر الباسيفيكي المشهورون باعتدال القامة وكمال الخلقة

ورسم في الشجرة الثانية طوائف الناس من حيث ارتقاؤُهم العقلي كما ترى في الشكل الرابع ففرَّع منها فرعاً كبيراً وضع الاستراليين في اسفلهِ وفوقهم النجريتو فالزنوج فالكفرة والهوتنتوت فالبابوان فاللاب والاسكيمو فالساموى وفوقهُ فرع هنود اميركا ثم فرع الملقيين وفرع الصينيين واليابانيين وفي اعلاها فرع الآريين والساميين. وعليهِ فالساميون والآريون في اعلى شجرة نوع الانسان عقلاً وجسماً وتحتهم الصينيون واليابانيون والملقيون وهنود اميركا ثم تأتي بقية طوائف الناس تحت ذلك

وقد اجتزينا بهذا الفصل عن فصل الفراسة لدخولهِ في موضوعها وسنعود اليها في الجزء التالي

منزلة الشعر من التاريخ

توطئة

التاريخ شخص العمران المتجسم للعيان وراويتهُ البليغ اللسان يقصُّ علينا اخبار الماضين تبصرةً وذكرى للباقين وانموذج عبرة للمعتبرين يعرب عن اسباب البقاء ودواعي العفاء وبواعث الانحطاط والاعتلاء وكيف ضافر النجاح ذوي النبل حتى دانت لهم المناكب والهام ولماذا خذل المجدُ الزعانف حتى داستهم المناسم ووطأَتهم الأَقدام

والشعرْ أهرام التاريخ الناطقة بآثار الامم في حالتي الصولة والصغار وبرج المآثر الخالد مع الدهر خلود الليل والنهار يخطّطُ المعالم والمواطن تخطيط الجغرافي الحاذق ويذكر الشعوب والاقوام ذكر المؤرخ الخبير ويسلسل القبائل والعشائر نظير النسَّابة المدقق ويصف السجايا والطباع وصف الاخلاقيّ الحكيم ويبسط اخبار الدول والممالك بسطاً يتعذَّر على الأَثريّ المحقق

ان يأتي بمثلهِ فضلاً عن انهُ معجم اللغة الذي لا مراءَ في قولهِ ودستور قواعدها الذي لا رجوع في حكمهِ وشارعها المنصف الذي لا مردَّ لما ارتضاهُ وقضى بهِ

ومن ينكر علينا ذلك ونحن لدى امعاننا النظر في قصائد الشعراء الجاهليين والمُخَضرِمين ومن أخذ عنهم في صدر الاسلام تتمثَّل لنا عاداتهم واخلاقهم وآداب مجالسهم وصفات امرائهم ومنازلهم وملابسهم ومتاجرهم وحكمة رؤَسائهم ممَّا لا يبقى معهُ شكٌّ في تعيين مرتبة الامة العربية قبل الرسالة الاسلامية والاعتراف بسموّ مداركها ورغادة معيشتها كأَننا واياها جاران في دار

واستنتاج ذلك على ضرْبين الاول : أن يُعمَد الى ديوان احد الشعراء فتفحص اياتهُ بنظرٍ دقيق وذهنٍ حافظ ويستخلص ما فيها من حكمة او وصف عادةٍ او ذكر موطن سواء كان هضبة او يفاعاً فيعلم من اخبار قوم ذاك الناظم واخبار سواهم بقدر ما جاءَ في شعرهِ . ثم يؤتى بديوان شاعر آخر فيلخَّص على هذا النحو ويكون لنا من ذلك ابحاث في مطالب شتَّى غير محكمة التبويب ولا منظَّمة التنسيق . والثاني : ان يُستكمَل البحث على ما مرَّ بيانهُ ثم يوضع كل نوع من مطالب التاريخ في بابهِ الخاص ويقسم ذلك الباب الى ابحاث فتنجلي فصولهُ ككواكب زواهر في أوج العنان وربارب اوانس في منحنى الطرس لا في الخيف والبان . وهذا السبيل اوعر مسلكاً وابعد مشقَّةً ولكنهُ من جودة الوضع وغزارة الفوائد بمكان . وها انا ذا اضع بين ايدي قرَّاء المقتطف هذه الرسالة متضمنة لمعة مقتطفة من اشعار الاقدمين مسندة الابيات الى اصحابها دفعاً لمحذور الريبة وقد جمعت بها لمحة من تاريخ العرب وعاداتهم واموالهم ومساكنهم وامثال هذه المباحث وقد سلكتُ في بعضها مسلك الجمع وهو الضرْب الاول مما قرَّرتهُ وفي بعضها الآخر مسلك التبويب وهو الضرب الثاني رغبة في ان يكون تلوُّن طرق البحث ادعي الى مرضاة المطالعين فابتدئُ بالضرب الاول (١)

(١) قصيدة لعبيد بن الابرص الاسدي

١ً القصيدة ٢ً اعتبار الالوان ٣ً شرب الخمرة ٤ً تحية الملوك ٥ً خرافة الهامة ٦ً تزوج العرب في مواطنها ٧ً موطن القبيلة الاصلي ٨ً كون الملك عند العرب وراثيًا ٩ً مثل سهولة الانقياد ١٠ً عشائر اسد

١ يا عينُ ما فابكي بني اسدٍ فهم اهل الندامه
٢ اهل القباب الحمر والـ نَّعم المؤثَّل والمدامه (٢)

---

(١) هي طريقة المبرد في الكامل والعاملي في الكشكول

(٢) النعم الابل خاصة والمدامة الخمر

٣ حلاً أبيتَ اللعن ح لاً ان ما في قلت آمه (٣)
٤ في كلّ وادٍ بين يثـ رب فالقصور الى اليمامه
٥ تطريب عانٍ او صيا ح محرّق او صوت هامه
٦ ومنعتهم نجداً فقد حلُّوا على وجلٍ تهامه
٧ برمت بنو اسدٍ كما برمت ببيضتها النعامه
٨ مهما تركت تركت عفـ واً او قتلت فلا ملامه
٩ انت المليك عليهم وهم العبيدُ الى القيامه
١٠ ذلُّوا لسطوتكم كما ذلَّ الاشيقر ذو الخزامه

البيت الاول من هذه القصيدة يدلُّ على ان بني اسدٍ اقدموا على معصية ندموا عليها وهي عصيان مليكهم كما يستدَلُّ من البيت التاسع

وفي البيت الثاني صفة ما تتميز بهِ كرام العشائر من القباب والمال فنستدلُّ منهُ ان اللون الاحمر خاصٌّ بالعظماء كما يؤيد ذلك قول ابي الطيب المتنبي

من الجآذر في زيّ الاعاريب حمر الحلي والمطايا والجلابيب (٤)

ولا بدع اذا اعتبروا اللون الاحمر ميزة لباس العظماء فانهم كانوا يعرفون الارجوان بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقتهِ

كأنَّ ثيابنا منَّا ومنهم خُضبنَ بارجوان او طُلينا

والارجوان لون ملكي اي انهُ خاصٌّ بالملوك وكبار الامراء وهو احمر وعليهِ فقد اتخذ العظماء اللون الاحمر ميزة للباسهم ولكن لم يكن هذا شأن العرب قاطبةً فملوك بني غسان اعتبروا اللونين الابيض والاخضر افضل الالوان واتخذوها ميزة لهم قال النابغة الذبياني

يصونون اجساداً قديماً نعيمها بخالصة الاردان (٥) خضر المناكب

واما الاعشى ميمون فانهُ يقول في صفة حبيبتهِ

صفر الوشاح وملء الدرع بهنكة اذا تأتى يكاد الخصر ينخزلُ (٦)

وقد اخذ بقولهِ علقمة الفحل حيث قال

(٣) غضاضة
(٤) الجآذر جمع جؤذر ولد البقرة الوحشية والجلابيب جمع جلباب وهو حزب من الثياب
(٥) اي بيضاء الاردان
(٦) الوشاح والدرع ضربان من الملابس والبهنكة الممتلئة البدن

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة كأنها رشأٌ بالبيت ملزومُ (٧)

ويُستَدَلُّ من هذا البيت ايضاً انهم كانوا يعتبرون النعم (اي الابل خاصةً) اشرف مقتنياتهم وان شرب المدامة دليل رغد العيش وبسطة الجاه وعزة الجانب ويؤكد ذلك قول امرئ القيس الكندي

حلَّت لي الخمر وكنت امرأً عن شربها في شُغُلٍ شاغلِ
اليوم فاشرب غير مستحقِبٍ اثماً من الله ولا واغلِ (٨)

وقال تأبط شرًّا

حلَّت لي الخمر وكانت حراماً وبلأيٍ ما أَلَمَّت تحلُّ (٩)

وجاء في شرح البيت الثاني من قول عنترة العبسي في صفة سيد قومهِ وبطلهم

ومشكّ سابغة هتكتُ فروجها بالسيف عن حامي الحقيقة مُعْلِمِ (١٠)
ربذٍ يداهُ بالقداح اذا شتا هتَّاك غايات التجار ملوَّمِ

اراد بالتجار تجار الخمر ومفاد قولهِ هتاك غايات التجار ان لا يترك شيئاً من الخمر الأَّ اشتراهُ

وقال يزيد بن عمرو بن صعق

فنمتُ الليل اذ اوقعتُ فيهم قبائل عامرٍ وبني تميمِ
وساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً اكادُ اغصُّ بالماء الحميمِ (١١)

وفي البيت الثالث (من قصيدة عبيد المتقدمة) وردت تحية يُستَدَلُّ من البيت التاسع انها احدى التحيات الواردة في مخاطبات الملوك · اقول احدى التحيات لا التحية الخاصة كما زعم البعض بدليل قول امية بن ابي الصلت في مخاطبة سيف بن ذي يزن تبَّع حمْيَر

سلامٌ ايها الملك اليماني لقد غلب البعاد على التداني

وفي البيت الرابع عدَّد اماكن من بلاد العرب يفُهم من قرائن الحال انها منازل قبيلتهِ وبالتالي نستنتج ان الملك الذي كان يخاطبهُ هذا الشاعر كان حكمهُ سائدًا هنالك

وفي البيت الخامس ما نستدلُّ منهُ ان خرافة الهامة كانت شائعة عند العرب . وخرافة الهامة هي اعتقادهم انهُ اذا قُتل أَحدهم فلم يُدرَك ثارهُ خرج من رأسهِ طائر كالبومة وهو الهامة

(٧) الخرعبة الجارية الدقيقة العظام الناعمة والرشأُ الظبي
(٨) المستحقب المدخر والواغل الداخل على القوم في شرابهم
(٩) اللأي البطء والاحتباس
(١٠) السابغة الدرع وفروجها جيبها والمعلم ذو العلامة ادلالاً بشجاعتهِ (١١) البارد

فتصيح على قبرهِ اسقوني اسقوني فان قتل قاتله كفت عن ذلك . قال ذو الاصبع العدواني

يا عمرو إلاَّ تدَعْ شتمي ومنقصتي أَضرِبْك حتى تقول الهامة اسقوني

ومن البيت السادس نستنتج ما يأتي (اولاً) ان لحجر قولاً مطاعاً في نجد كلها (ثانياً) ان العرب كانوا حينما ينالهم ضيم يغادرون منازلهم ويتحولون الى بلادٍ أُخرى وهذا مؤيد من قول النابغة الذبياني ايضاً حيث قال

فدع عنك قوماً لا عتاب عليهم هم الحقوا عبساً بآل القعاقعِ

اي انهم اخرجوهم من ارضهم فألحقوهم بالقعاقع (ثالثاً) ان ملكهم الذي ارتحلوا من ارضهِ خالعين نير طاعتهِ كان شديد البأس نافذ الصولة حتى انهم كانوا بعد مغادرتهم ارضهُ واستظلالهم بحمى سواهُ في وجل من ان يوقع فيهم لكونهِ جباراً لا يبالي بسواهُ . او لانهُ كان بين ملوك العرب معاهدات ومواثيق فيتمكن الواحد منهم ان يقتصَّ ممن شقّوا عصا طاعتهِ وان برحوا من ديارهم الاولى . وهذان الفرضان يصحَّان معاً او يصحُّ احدهما حينما تقوم الادلة على صحة الدعوى وسيأتي معنا في خلال البحث ما فيهِ الكفاية

والبيت السابع نحتجُّ بهِ على ان قبائل العرب المتبدّية وان رحبت الارض بهم وهان عليهم الترحُّل والتنقل فان لهم منازل خاصة يحسبون الجلاء عنها اغتراباً فهم في ذلك كالحضريين من سكان المدن الذين ينزحون من قطر الى آخر ولا يزالون محافظين على الانتساب الى موطنٍ مخصوص وبالتالي نستنتج ان حب الوطن مغروس في قلوب الناس اجمع حتى في قلوب البدو الضاربين خيامهم كل يوم في بقعة من الارض ريثما ترعى مواشيهم كلاها وذلك يحقق ما جاء "ان حب الاوطان من الايمان"

ونستدلُّ من هذا البيت ايضاً على ان العرب كانوا يضربون مثل الملل والضجر بالنعامة الحاضنة بيضها

والبيت التاسع يدل على ان المُلك عندهم وراثي للملِك ولسلالتهِ من بعدهِ ما لم تسلبهُ يدٌ غالبة كما يدل على اعتقاد قبيلة ذاك الشاعر بيوم القيامة وسنشبع الكلام في البحث الاخير في الفصل الذي نتكلم بهِ عن اديان العرب

والبيت العاشر ينتج منهُ ان الملك دوَّخ القبيلة فعادت الى طاعتهِ مستكينة صاغرة كما يستدل منهُ ان العرب كانوا يضربون مثل سهولة الانقياد بالاشيقر ذي الخزامة اي البعير كما قال العباس بن مرداس السلمي

لقد عظم البعيرُ بغير لبٍّ فلم يستغنِ بالعظم البعيرُ

يصرِّفهُ الصبيُّ بكل وجهٍ ويحبسهُ على الخسف الجرير [١٢]
وتضربهُ الوليدة بالهراوى فلا غِيَرٌ لديهِ ولا نكيرُ [١٣]

فهذه الابيات العشرة على قلتها عدداً قد دلَّت على امور عديدة من اخبار بني اسد منها تعيين حكامهم ونوعية ملكهم واماكن سكناهم ونزعات نفوسهم ومفاخرهم ومقتنياتهم وشرابهم وتحيات ملوكهم وامثالهم . وهذه الادلة اذا وزنَّاها بميزان التبصر نجدها اثبت دلالة من الحروف الهيروغليفية على هياكل المصريين ومن الحروف الاسفينية التي حفظت اخبار الكلدانيين الاقدمين

واذا تتبعنا اقوال هذا الشاعر (عبيد بن الابرص) ناظم هذه القصيدة وامعنا النظر في علاقات الحوادث يمكننا ان نجزم ان بني اسد قبيلة ذات عشائر منها دودان وهي عشيرة هذا الشاعر لقولهِ

قومي بنو دودان اهل الحجى يوماً اذا القحت الحائلُ

وان ملكهم الذي شغبوا عليهِ كان حجر بن عمرو بن الحارث بن عمرو الكندي بدليل قولهِ

يا ذا المخوفنا بقتـ ـل ابيهِ اذلالاً وحينا [١٤]
ازعمت انك قد قتلـ ـت سراتنا كذباً ومينا [١٥]
هلاَّ على حجر ابن ام قطام تبكي لا علينا

الى ان يقول هلاَّ سألت جموع كنـ ـدة يوم ولوا أين اينا

ومنها وجموع غسَّان الملو ك اتيتهم وقد انطوينا
ولقد ابحنا ما حميـ ـت ولا مبيح لما حمينا

فاننا نستنتج من هذا ان المخوّفهم ملك من كندة وانهُ ابن حجر المقتول . ولم يتهدَّد بني اسدٍ ملك من ملوك كندة ابوهُ يدعى حجراً الاَّ امرؤُ القيس . فامرؤُ القيس اذن هو خصيم عبيد . لا بل لنا من قول عبيد

تمنىَّ مُرَيْءُ القيس موتي وان أَمُتْ فتلك طريق لستُ فيها بأوحدِ

قرار صريح بان خصم عبيد هو امرؤُ القيس لان مُرَيْءُ القيس تصغير امري القيس للازدراء

واذا ثبت لنا ان خصيم عبيد هو امرؤُ القيس فقول عبيد " ازعمت انك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا " جاء تفنيداً لقول امريء القيس

(١٢) الجرير الحبل (١٣) الهراوي جمع هراوة وهي العصا الضخمة والغير جمع غيرة وهي النخوة والنكير الانكار
(١٤) الحين الهلاك (١٥) السراة السادة المين الافك

قد قرَّت العينانِ من مالك　　ومن بني عمرٍو ومن كاهلِ
ومن بني غنم بن دودان اذ　　نقذف اعلاهم على السافلِ

ومالك وعمرو وكاهل وغنم بن دودان عشائر من اسدٍ . فمن هذين البيتين نعرف اسماء بعض عشائر اسدٍ معرفة لا وجه للشك بصحتها

امين ظاهر خير الله

احتفال برتلو وخطبته

مضى خمسون سنة على العلاَّمة الاستاذ برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور منذ نشر اول تأليف علمي من تآليفهِ فاحتفل الفرنسويون بذلك احتفالاً باهرًا في مدرسة السوربون بباريس في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر الماضي برئاسة المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية وكان معهُ وزراؤهُ وسفراءُ الدول ونوَّاب الجمعيات العلمية الفرنسوية والاجنبية

ونادي السوربون يسع ثلاثة آلاف نفس فكان غاصًّا بجلَّة القوم الذين حضروا اكرامًا لشيخ الكيماويين الفرنسويين في هذا العصر وكان في النادي تماثيل اشهر رجال فرنسا الذين اعلوا مقامها العلمي بين ممالك الارض مثل روبرت ده سوربون منشئ مدرسة السوربون ورشليه وباسكال وده كارت ولافوازيه ورولين . وكأَن تماثيل اولئك العظام حضرت بدلاً منهم لتحيي من استحق بعلمهِ وعملهِ ان يُقرن اسمهُ باسمائهم

وفتح الاحتفال بخطبة تلاها وزير المعارف عدَّد فيها مآثر برتلو العلمية في ترقية شأن التعليم في فرنسا لانهُ لم يقتصر على المباحث العلمية بل التفت الى حال التعليم في المدارس الابتدائية والعالية . وتلاهُ المسيو دربو سكرتير اكادمية العلوم وعدَّد الفوائد التي استفادها العلم بنوع عام من الاستاذ برتلو . ثم قام المسيو فوكه رئيس اكادمية الطب وكرر ما قالهُ المسيو دربو واعرب عن سرور الاكادمية ببلوغ واحد من اعضائها هذا المقام السامي في نظر العالم المتمدن وقال ان رجلاً مثلهُ شرفٌ لكل جماعة ينضمُّ اليها . وتلاهُ المسيو مواسان استاذ الكيمياء في السوربون وعدد مكتشفات برتلو في علم الكيمياء وقال انهُ بحث منذ سنة ١٨٥٥ في السكَّر بحثاً ادَّى الى تركيب الحامض الفورميك والالكحول وفتح باباً جديداً للكيماويين الذين كانوا يحسبون التحليل الكيماوي غاية ما يتوخونهُ فصاروا يرون التركيب الكيماوي من مطالب الكيمياء كالتحليل . وكان وهلر وليبغ قد نفيا وجود القوة الحيوية فخالفهما وفنَّد كثيراً من مزاعمهما وساعدهُ في ذلك صديقاهُ باستور وكلود برنار وكلٌّ منهم خلَّد اسمهُ في سجل العلم

وقام بعدهُ المسيو غاستون باري وتكلم عن علاقة الاستاذ برتلو بمدرسة فرنسا وقال انهُ دُعي سنة ١٨٥١ ليكون مساعداً فيها وذهب بعد ذلك الى مدرسة الصيدلة ثم اعيد الى مدرسة فرنسا وبقي فيها الى الآن رافضاً مناصب كثيرة اكثر ريعاً لهُ منها

وكان في المحفل نوَّاب من المانيا وانكلترا والنمسا وايطاليا واسبانيا فقام الاستاذ فشر الالماني استاذ الكيمياء في مدرسة برلين الجامعة وتكلم بالنيابة عن اكادمية بروسيا العلمية والجمعية الكيماوية الالمانية وتلاهُ الاستاذ غلادستون الانكليزي وقدم الاستاذ رمسي الاميركي فتلا خطبة مرسلة من الجمعية الملكية وتبعهُ الاستاذ رينلدز الانكليزي فتلا خطبة من الجمعية الكيماوية وبعد خطب أُخرى من هذا القبيل قام المسيو برتلو وفاه بالخطبة التالية قال

ان ما اراهُ من اكرامكم لي قد حرَّك عواطفي واوقعني في حيرة شديدة وانا عالم انكم لم تبدوا هذا الاكرام لمجرَّد حبكم لي بل قد راعيتم فيهِ سني واشتغالي الطويل بالعلم وبعض الخدَم التي اتيح لي ان اخدم بها بلادي وابناء نوعي . وهذا الحب الذي اظهرتموهُ لي قد زاد النور والبهاء في سراج حياتي الذي يكاد ينطفئ في ظلمة الابدية . وما اكرام الناس للشيوخ سوى دليل على ارتباط ابناء الزمان الحاضر بالذين سبقوهم وبالذين يأتون بعدهم . وما نحن سوى نتيجة لازمة عمَّا كانهُ اسلافنا فلهم نحن مديونون بكل ما لنا وان استطاع احد منا ان يزيد شيئاً في ابواب العلم او الصناعة او الآداب فما ذلك الاَّ لان كثيرين قد اشتغلوا قبلهُ وكدُّوا وجدوا واشتغال اسلافنا بالعلم هو الذي تكرمونهُ الآن . وعلى كلٍّ منا ان ينسب جانباً كبيراً

من نجاحهِ الى العلماء المعاصرين لهُ المشتغلين مثلهُ . وما من احد يستطيع ان يدَّعي انهُ اكتشف وحدهُ شيئاً من المكتشفات الكبيرة التي تمَّت في القرن الماضي وما علمنا سوى مجموع ما وضعهُ كثيرون من المشتغلين بهِ مدة العصور الحاضرة والغابرة وقد خلفت الامم بعضها بعضاً وهي ساعية سعياً واحداً في كشف الحقائق واستخدامها في ما ينفع نوع الانسان و يرقيهِ من درجة الى اعلى منها

كان الناس قبلاً يحسبون العلماء رجالاً عائشين على نفقة غيرهم يبحثون في العلم ليسلُّوا بهِ العظماء واهل السيادة . لكن هذا الحكم الجائر الذي يبخس رجال العلم حقهم ويحط من قدر اهتمامهم بالبحث عن الحقائق العلمية قد زال الآن لما ثبت ان حقائق العلم يمكن استخدامها في ترقية الصنائع والاعمال وان العلم يبدل القواعد القديمة المبنية على الحدس والتخمين بقواعد جديدة نافعة مبنية على الملاحظة والامتحان . ومن يجسر الآن ان يصف العلم بانهُ بحث عقيم لا فائدة منهُ وهو يرى فوائدهُ الجمة في زيادة ثروة الامة . واذا قصرنا النظر على ما يمكن يعد في المنزلة العليا من فوائد العلم كفانا ان نقابل الحالة السيئة التي كان فيها عامة الناس على ما يعلم من التاريخ بحالتهم في العصر الحاضر وما يرجى من زيادة الاصلاح في المستقبل مما لا يرتاب فيهِ احد . العلم يصلح العالم . ولقد رأى رجال السياسة فوائدهُ المحسوسة فجعلوا ينشئون المعامل العلمية وينفقون عليها لانهم وجدوا منها ربحاً للبلاد يفوق نفقاتها اضعافاً كثيرة. وللعلم حقوق اعظم من هذه فانهُ يدَّعي ودعواهُ حق انهُ هدًى للناس في الامور المادية والعقلية والادبية . وتحت رايتهِ يسير العمران سيراً ذميلاً

ولقد غيَّر العلم وجه المسكونة منذ نصف قرن الى الآن فان الناس الذين من عمري رأَوا شيئاً مخالفاً للطبيعة ان لم يكن مضادًّا لها وهو اسمى منها بما لا يقدَّر رأَوهُ يتكامل امامهم ورأَوا قوة الفرد تتضاعف بهِ مئة ضعف بتحويل النور والكهربائية والمغنطيسيَّة .ولم يقف الارتقاء عند هذا الحد بل ان زيادة التعمُّق في معرفة الكون وبناء الانسان جسداً وعقلاً دعت الى اعتبار نوع الانسان بصورة جديدة مبنيَّة على الالتحام التام بين كل طوائفهِ .وكما تكثر روابط الناس ويزيد التحامها بتقدُّم العلم وبتوحيد القوانين التي يستخرجها العلم ممَّا يجري في الكون ويفرضها على الناس كلهم فرضاً واجباً من غير عنف كذلك تكثر هذه الفوائد وتزيد اهميتها حتى لا يبقى مناص منها وستكون اساس الآداب والسياسات ولذلك صار للعلماء شأن كبير بين رجال السياسة ايضاً لكن واجباتنا لغيرنا تزيد بزيادة اهميتنا وهذا يجب ان نتذكرهُ دائماً ولا ننساهُ واحترام الناس للعلماء لا يُقصَد بهِ تبجيلهم وارضاؤُهم كلاً بل يقصد بهِ الاعتراف بانهم خدموا ابناء

نوعهم غير منتظرين اجرًا ولا شكورًا — خدموا ابناء نوعهم باصلاح احوالهم وتقليل متاعبهم فاستفاد منهم الجميع الاغنياء والفقراء · ولهذا السبب اتفقت الحكومة والامة منذ تسع سنوات على اكرام باستور في هذا النادي . وهذا عين ما كتب على الوسام الذي يريد رئيس الجمهورية ان يقدمهُ لي . ولا اعلم هل قمتُ بما كتبهُ النقَّاش عليهِ ولكنني اعلم انني بذلت جهدي دائمًا لاقوم بهِ . انتهى

قال مكاتب التيمس وكان لهذه الخطبة وقع عظيم في نفوس السامعين ولا سيما للقسم الاخير منها فصفقوا للخطيب طويلاً ودنا رئيس الجمهورية منهُ وعانقهُ ثم قلدهُ الوسام المشار اليهِ آنفًا

فائدتان طبيتان

الاولى استخراج الكحول من جسم الانسان

ذكرت في مقالتي السابقة ملخص الخطاب الذي القاهُ الاستاذ شانتميس في القسم العملي من المدرسة الطبية عن الطريقة الجديدة في علاج الحمى التيفوئدية

واليوم القى الاستاذ ديولافوى مدرس الباثولوجيا خطابهُ الاول في مستشفى اوتيل ديو لافتتاح السنة المدرسية ولما كان موضوع هذا الخطاب يهمُّ القراء بوجه العموم لما فيهِ من الفوائد الممزوجة ببعض الفكاهة رأيتُ ان اوافيهم بملخص ما قالهُ

لمَّا انتظم عقد المجلس اقبل الاستاذ وبرفقتهِ واحد من خدم المستشفى وجلس على كرسيهِ ووقف الخادم الى جانبهِ فعجبنا للامر وصرنا نتساءل عن شأن خادم المستشفى في مثل هذا المقام وكان الاستاذ ديولافوى ينظر الينا متبسمًا كانهُ عالم بما يدور في خلدنا . وبعد هنيهة دخل القاعة نفر من الممرضين يحملون سريرًا من خشب عليهِ مريضةٌ فوضعوا السرير الى جانبهِ وانصرفوا واذ ذاك قال

اراكم ايها السادة تنظرون بعين العجب طورًا اليَّ وطورًا الى هذا الخادم الواقف الى جانبي وكأني اسمعكم تتساءلون ما شأن هذا الخادم في مثل هذا المحفل فاعلموا ان هذا الرجل ليس لهُ شأنٌ في موضوع خطابي لأن الموضوع محصور في تدرن الاعور المزمن (الاعور اول المعا الغليظ) وطرق تشخيصهِ وعلاجهِ الجراحي الشافي كما ستسمعون

وانما اتيتكم بهذا الخادم لاطلعكم على مشاهدة طبية غريبة في ذاتها فارجو ان تعتبروا هذه المشاهدة او هذا الخادم بالنسبة الى موضوع الخطاب كمجلبات القابلية من المآكل التي تقدم في بدء مناولة الطعام او بعبارة اخرى « كالهوردوفر » (استحسان)

دخل هذا الرجل المستشفى منذ عدة شهور لا للخدمة فيهِ كما هي وظيفتهُ الآن ولكن للاستشفاء من داء الديابيطس او البول السكري الذي لا يزال بهِ حتى الآن . وانتم تعلمون انهُ لا سبيل الى ابقاء كل المرضى المصابين بعللٍ مزمنة كالديابيطس في المستشفيات لأَن ليس لمثل هذه الامراض مدة معلومة بل هي ترافق اصحابها طول حياتهم ولو ابقينا مثل هؤُلاء المرضى في المستشفيات الى اجلٍ غير مسمًى لضاقت بهم قاعاتها ولتعذر علينا مداواة الامراض الاخرى الحادة التي هي احوج من المزمنة الى الالتفات . واني لم ابقِ هذا المريض في المستشفى حتى الآن الاَّ لانهُ يفيد المستشفى اكثر مما يحمّلهُ من النفقة ليس فقط لانهُ يخدم فيهِ كباقي الخدم ولكن لمزية اخرى ستعلمونها

عرفتم الآن ان هذا الرجل مصاب بالداء السكري ولكن ما عرفتم غير شيءٍ واحد وغابت عنكم اشياءُ . اتعلمون كم ياكل هذا الرجل في الاربعة والعشرين ساعة وكم يشرب وكم يبول وكم يفرز من السكر ؟ كلاَّ اعلموا ان هذا الرجل بل هذا الغول يأْكل ويشرب ويبول كستة رجال تماماً فاذا كان الطعام بيضاً ياكل كل مريض بيضتين وهو ياكل اثنتي عشرة بيضة وهيهات ان يكتفي بذلك واذا كان الطعام لحماً اكل كل مريض ماية واربعين غراماً اما هو فيأْكل الف جرام الى غير ذلك من المآكل والنسبة واحدة . واذا شرب كل مريض لترين من الماء في الاربع والعشرين ساعة يشرب هو اثني عشر لتراً . وهو لحسن الحظ يكتفي بالماء لارواء غليلهِ ولا يطمع بشرب النبيذ ولولا ذلك لضاق ذرع الحكومة دون اروائهِ (استحسان)

انتم تعلمون مثلي ان غاية ما يفرزهُ المصاب بالديابيطس من السكر في اليوم عشرون غراماً او ستون او ثمانون او مئة او مئتان وقلما نسمع باكثر من ذلك وهذا الرجل يفرز من السكر في الاربعة والعشرين ساعة الفاً وسبعة وسبعين جراماً . وعند ما تشتد عليهِ وطأة المرض يفرز احياناً الفاً وثلثمائة غرام في اليوم فهو والحالة هذه اشبه شيءٍ بفبريقة

سكر (استحسان)

وبينا انا ذات يوم افكّر في امر هذا المريض ذكرتُ قول العالم الكيماوي كاوت برنار ان ألانسان يشبه النبات في افراز السكر متى اصابهُ الديابيطس فقلت في نفسي انهُ يمكننا ان نستفيد من سكر النبات باستخراجنا الكحول منهُ فلماذا لا نفعل ذلك بالبول السكري ولا سيما ببول صاحبنا وهو مزيج من الماء والسكر (ضحك واستحسان) ولم يكد هذا الفكر يلوح لي حتى استدعيت صيدلاني المستشفى وكلفتهُ ان يجمع البول الذي يبولهُ هذا المريض في الاربع والعشرين ساعة ويعالجهُ ويستخرج منهُ ما يمكن استخراجهُ من الكحول ففعل وكانت كمية الكحول الذي استقطرهُ من بول اربع وعشرين ساعة ار بعماية غرام وهو من احسن انواع الكحول المعروفة حتى الآن طيب الرائحة جيد الطعم (ضحك واستحسان) ولما رأى الصيدلاني ان ثمن هذا الكحول يربو على نفقة استخراجهِ وان في ذلك فائدة للمستشفى تقوم مقام ما تنفقهُ الحكومة على هذا المريض داوم على جمع البول واستخراج الكحول منهُ وما زال يفعل ذلك وسيظل يفعلهُ ما دام هذا المعمل في المستشفى . وقد اتيتكم بار بعمئة جرام من هذا الكحول النقي وذلك ما استقطرهُ الصيدلاني من بول امس فخذوا الزجاجة وشموا رائحة هذا الكحول النقي وذوقوهُ فهو حلو المذاق والذ من الكنياك والروم اللذين تشربونهما مع القهوة (ضحك واستحسان) . قال الاستاذ ذلك وادار علينا تلك الراح فشممناها وذقناها فالفيناها تزري بالخندريس المعتقة . وبينا نحن ندير الكاس نظر الاستاذ الى الخادم وقال لهُ دعهم الآن يكرعون من مستقطر خمرك واذهب انت الى المطبخ فاني اراك خائر القوى لانك لم تاكل منذ نصف ساعة « تصفيق »

الثانية احدث الطرق واصحها لتشخيص التدرن

ولما انصرف الخادم وانتهينا من « الهور دوفر » شرع الاستاذ في الكلام على موضوع خطابهِ الاساسي وهو تدرن الاعور المزمن وكيفية تشخيصهِ وعلاجهِ فقال

ان تدرن الاعور المزمن الذي نحن في صددهِ لا يشبه في شيءٍ التقرحات الدرنية المعوية التي تعتري المرضى في اواخر السل الرئوي فان هذه التقرحات تصيب في الغالب المعى الدقيق وتكون ثانوية لتدرنٍ آخر مزمن في الجسم كالسل الرئوي او تدرن العظام

الى غير ذلك ولذا فهي لا تصيب الاَّ الذين انهكهم داء التدرن وهي متى ظهرت تنذر بدنو الاجل ولها اعراض خصوصية تميزها عن بقية الامراض المعوية واهم هذه الاعراض النزف المعوي او الاسهال النزفي (ميلينا) . اما تدرُّن الاعور المزمن فليس في شيء من ذلك فان هذه العلة تكون في الغالب اولية لا ثانوية اي ان التدرن يظهر في الاعور مباشرةً قبل ظهوره في موضع آخر من الجسم . ولذا كان تشخيصها من اصعب الامور قبل ظهور الطريقة الحديثة التي وجدها الدكتور ارلوان وسأتكلم عنها . فالمصابون بهذا الداء لا يرى غالباً في حالتهم الصحية العمومية ما يشير الى التدرن او يوجه النظر اليهِ اذ ليس في رئاتهم او عظامهم او مفاصلهم او قسم آخر من ابدانهم اعراض تدرنية وهم لا يشكون في بدء ظهور العلة سوى ألمٍ في البطن عموماً وفي حفرة الحوض اليمنى خصوصاً واسهال يكون في الغالب بسيطاً ويندر ان يكون مصحوباً بنزيف (ميلينا) هذا ما يشكو منهُ المصاب بتدرن الاعور المزمن وانتم تعلمون مثلي ان هذه الاعراض لا تكفي مطلقاً لتشخيص المرض . واذا فحصنا الموضع المؤلم الذي يشير اليهِ المريض اعني الحفرة اليمني من الحوض ماذا نجد او بماذا نشعر ؟ اننا بمجرد النظر الى ذلك الموضع لا نرى في الغالب ادنى اشارة تدل على ان هناك علة قتالة مستترة تحت جدران البطن فلا ورم ظاهر ولا احمرار ولا ارتشاح ولا احتقان في الاوردة واذا جسسنا الموضع المؤلم نشعر بورمٍ صغيرٍ قلما يتجاوز حجمهُ التفاحة هذا كل ما نشعر بهِ وهو لا يكفي ايضاً لتشخيص العلة وغاية ما يمكننا الحكم بهِ بعد الجس المستطيل ان هنالك ورماً ونقف عند هذا الحد دون ان نقوى على الحكم بما هي طبيعة ذلك الورم وما هي الطرق التي يمكننا اتخاذها لعلاجهِ ولذا بقيت هذه العلة زمناً طويلاً مبهمةً علينا يموت بها كثير من المرضى ونحن نقول اذا سئلنا عن سبب الموت كان هنالك ورم ونصاب بالخرس بعد نطق هذه الكلمات الثلاث . وكنا لا نهتدي الى حقيقة العلة وسبب الموت الاَّ بعد التشريح الرمي وكان ذلك عاراً علينا وعلى الطب . ولولا تقدم الجراحة من جهة واكتشاف طريقة ارلوان من جهة اخرى لبقينا الى ما شاء الله نؤجل الى بعد الوفاة تشخيص العلة التي نحن في صددها . وقد سبقنا الجرَّاحون الى التشخيص قبل الوفاة لمَّا اقدموا في هذه السنين الاخيرة على عملية فتح البطن اقداماً

لم يكن في الحسبان . فكنا اذا فحصنا مريضاً وشعرنا بورم في حفرة حوضهِ اليمنى وتعذر علينا الحكم بما هي طبيعة ذلك الورم نسلم المريض الى الجراحين مستسلمين ونقول لهم ربما كان الورم سرطاناً او ربما كان تدرناً مزمناً اذ ليس لدينا من الاعراض ما يساعد على البت في الحكم . وكان الجراحون ينظرون الينا بعين التهكُّم و بعد ان يفتحوا البطن ويروا الورم بعيونهم ويلمسوهُ باصابعهم ويقطعوهُ بمشارطهم ثم يبحثوا بحثاً مكروسكوبياً ويتحققوا طبيعتهُ يشمخون علينا بانوفهم ويقولون كنتم في ضلال فارشدناكم وعلمناكم ما كنتم تجهلون . على اننا وان كنا نسلم بمهارة الجراحين واقدامهم على فتح البطن وبالنتائج الحسنة التي اتت بها الجراحة في عصرنا هذا لا يسعنا الاَّ ان ننكر على الجراحين المعجزة التي يدَّعونها في تشخيص الورم بعد فتح البطن . فليست المعجزة ان يشخص الورم وهو تحت الميكروسكوب ولكن المعجزة ان يشخَّص وهو في بطن المريض قبل شقهِ . وهي الغاية التي طالما صبت اليها نفسي واجهدت للوصول اليها كل قواي العقلية . وما زلتُ ابحث في الاعراض الموضعية والعمومية المميزة لكل ورم من اورام حفرة الحوض اليمنى وما زلت اترقب الفرص لاثبت للجراحين ان اجهاد القوى العقلية يغني احياناً عن المشرط في صحة التشخيص حتى دخلت المستشفى هذه المريضة التي ترونها امامكم مضطجعة في سريرها باسمة الثغر موردة الوجنتين وليس في هيئتها العمومية ما يدل على انهُ بتر من معاها الغليظ ما طولهُ اثنان وعشرون سنتمتراً منذ اسبوعين

دخلت هذه المريضة المستشفى منذ عشرين يوماً وقبل ان افحصها سألتها ان تشرح لي عن العلة التي ساقتها الى المستشفى واليكم ما قالتهُ لي

« انني مصابة منذ ستة عشر شهراً بعرضين موءلمين لم يقف بعد طبيبٌ على حقيقة سببهما فمن قائل انني مصابة باسهال مزمن ومن مدَّعٍ بان بي داء السرطان ومن مشخصٍ ان دائي عصبي حتى ان بعض الاطباء قال لي ان مرضي وهمي لا حقيقة لهُ . وكم جرعوني ادويةً ودهنوني بمراهم وعالجوني بحراريق ولُبخ والعرضان اللذان بي هما هما. ولما عيل صبري واعيتني الحيل وانفقت في تطبيب علتي كلما كنت املكهُ من حطام الدنيا اتيت هذا المستشفى لعلي انال فيهِ الشفاء على يدكم . اما العرضان الموءلمان اللذان اتوجع

ليلاً ونهارًا منهما فاحدهما الم في البطن عموماً وفي القسم الاسفل الايمن منهُ خصوصاً وثانيهما اسهال صيَّر عيشتي مرة حتى كرهت حياتي فاني اخرج الى بيت الراحة لا اقل من ست مرار او سبع في الاربع والعشرين ساعة اما الالم فيتراوح حيناً فحيناً بين اللين والشدة ولكن عند ما تشتد عليَّ وطأتهُ اشعر كأن احشائي تتقطع وان جسماً غريباً في بطني يحاول الخروج وذلك اشبه شيء بألم الطلق وقت الولادة . هذه هي علتي التي قصدتكم لاجلها راجيةً ان تشفوني منها»

ثم نظر الاستاذ الى المريضة وقال لها . اليس هذا عين ما قلتهِ لي يوم وصولك المستشفى فاجابت نعم واعادت علينا كل ما قالهُ الاستاذ عن لسانها . فسألها الاستاذ قائلاً : والآن كيف حالك قالت «انني الآن على غاية من الصحة حمداً لله وشكرًا لكم ومن بعد ما شققتم بطني لم اعد اشعر بالمٍ وفارقني الاسهال والان لم اعد انتظر شيئاً سوى ساعة خروجي من المستشفى »

واذ ذاك استدعى الاستاذ الخدم فأعادوا المريضة الى غرفتها ثم استطرد خطابهُ فقال : — ولما انتهت المريضة من شرح حالتها فحصتها فحصاً مدققاً فوجدتها صحيحة الجسم ولم ارَ علةً في عضوٍ من اعضائها الرئيسية ما خلا الامعاء لانها كانت ولا شك مقر العلة والدليل على ذلك الم البطن والاسهال . ولما اشارت الى ان معظم الألم في حفرة الحوض اليمنى تحوَّلت كل انظاري الى الاعور وقلت في نفسي لا ريب انهُ هو المصاب او ان العلة بجوارهِ . فلما تأملت ذلك الموضع لم ارَ فيهِ عرضاً خارجياً يهدينا السراط القويم فلون الجلد طبيعي ولا ورم هناك ولا احتقان في الاوردة ولكن لما جسست الموضع شعرت بورمٍ مستطيل املس ليس فيهِ تحدُّبات يشبه شكلهُ شكل كمثراة قسمها الضخم متجه الى الاسفل . ولما جسست هذا الورم بيديَّ شعرت بانهُ يمكن تحريكهُ أُفقياً من اليمين الى الشمال ولا يمكن تحريكهُ من الامام الى الخلف او من أسفل الى اعلى او بالعكس الاَّ تحريكاً خفيفاً جدًّا يكاد لا يشعر بهِ . فلم احتج الى اكثر من ذلك ونفي امكان هبوط الكلية اليمنى من مكانها الى حفرة الحوض اليمنى كما يمكن حصول ذلك ولو نادرًا وكونها « الكلية » هي الورم الذي اشعر بهِ في تلك الحفرة فانتم

تعلمون مني ان الكلية في مثل هذه الحال يمكن تحريكها الى كل الجهات حركةً واسعة النطاق خصوصاً من اسفل الى أعلى

وقدَم عهد المرض جعلني ايضاً انفي نفياً باتاً كون الورم نتيجة التهاب حادّ في الاعور او الانسجة المحيطة بهِ لأَن هذا المرض لا يمكن ان يستطيل الى هذا الحد من جهة ومن جهة أُخرى لا يمكن حصولهُ دون ان يحدث اعراضاً عمومية وموضعية مميزة لهُ

بقي اذاً التشخيص محصوراً بين تدرُّن الاعور المزمن وبين ورم من الاورام كالسرطان مثلاً . فما هي الاعراض المميزة لسرطان الاعور وهل بعض تلك الاعراض موجود هنا . اذا كان الورم سرطاناً نشعر غالباً اذا جسسناهُ بان سطحهُ غير املس بل ان فيهِ تحدبات وتعاريج مميزة ولكن قولنا غالباً دليل على ان ورم السرطان يكون احياناً املس كورم التدرن المزمن فلا يكننا والحالة هذه الاعتماد على هذا العرض لبت الحكم في التشخيص طالما ان ملوسة الورم كما هي حالتهُ في المريضة لا تنفي السرطان وعدمها لا يثبتهُ

ومن اعراض السرطان المميزة النزف المعوي الذي يدل عليهِ سواد الغائط « ميلينا » وهذا العرض وان كان يحدث في الغالب من تقرح السرطان قد يجوز ان لا يحدث لا سيما في بدء المرض او ان يكون النزف طفيفاً يفوت المريض والطبيب . فضلاً عن ان هذا العرض قد شوهد احياناً في بعض حوادث من تدرن الاعور المزمن فعدم حدوثهِ عند مريضتنا لا يثبت كونها مصابة بتدرُّن مزمن في الاعور كما انهُ لو حدث لا يثبت اثباتاً قطعياً ان العلة هي السرطان فلا يسعنا اذاً الاكتفاء بهِ لفصل الخطاب في التشخيص

وللسرطان علامة أخري تصحبهُ دائماً وهي احتقان الغدد اللمفاوية عند الحالبين والحفرة الترقوية فهذه العلامة غير موجودة في مريضتنا ولكن ذلك لا يثبت تدرن الاعور المزمن وينفي السرطان لان احتقان الغدد اللمفاوية قد شوهد ايضاً في تدرُّن الاعور المزمن فهذا ايضاً عرض لا يعوَّل عليهِ في التشخيص . فترون ممَّا تقدم ان كل الاعراض الموضعية المنسوبة الى السرطان قد يوجد كلها او بعضها في تدرُّن الاعور المزمن

وانّنا اذا اعتمدنا عليها لبت الحكم في التشخيص نركب متن الشطط . فلم يبقَ لنا والحالة هذه للتمييز بين المرضين سوى النظر الى حالة المريضة العمومية وقد شاهدتم الآن المريضة باعينكم ورأيتم انها باسمة الثغر موردة الخدين وان جسمها اقرب الى السمن منهُ الى الهزال وان ليس في هيئتها العمومية ما يدل على الضعف وهكذا كانت يوم دخولها المستشفى بعد ان قضت ثمانية عشر شهراً تقاسي الآلام من مرضها . فحالتها العمومية هذه وحدها كافية لنفي السرطان نفياً يكاد يكون قطعياً واثبات تدرُّن الاعور المزمن لان السرطان لا يبقي جسم صاحبهِ ثمانية عشر شهراً دون ان يلحق بهِ الهزال واللون الشاحب الليموني إن هو لم يمضِ بهِ الى الآخرة . وذلك بخلاف تدرن الاعور المزمن فان هذه العلة تبقى زمناً طويلاً في جسم صاحبها دون ان يلحقهُ شيءٌ من الشحوب او الهزال والسبب في ذلك كما ذكرت لكم ان هذه العلة تكون في الغالب اوليَّة اي ان التدرن يظهر مباشرةً في الاعور قبل ظهورهِ في الرئتين اوعضو آخر ويبقى الداء زمناً طويلاً محصوراً في ذلك القسم من المعى قبل ان ينتشر في الجسم ويسبب الهزال

ثبت لكم اذاً ان حالة المريض العمومية هي من اهم الامور التي يلزم توجيه النظر اليها فهي التي تهديكم سواء السبيل غير انكم لسوء الحظ لا يمكنكم الرجوع اليها والتعويل عليها في فصل السرطان عن تدرُّن الاعور المزمن الاَّ اذا ازمن المرض ولكن هبوا ان المرض لا يزال في اول عهدهِ وانهُ ان كان سرطاناً او تدرُّناً مزمناً لم يلحق بعد بالمريض هزالاً او شحوباً فلأي عرضٍ ترجعون اوعلى ايَّة علامة مميزة تعولون في فصل الخطاب . هذه هي العقدة التي ظل حلها مستحيلاً علينا حتى اكتشف الدكتور ارلوان طريقتهُ الحديثة في تشخيص علَّة التدرن اين كانت في الجسم ومهما كانت محصورةً وحديثة العهد . واليكم بيان ذلك

بقي الدكتور ارلوان زمناً طويلاً يجاهد في البحث والتجارب حتى تمكن اخيراً من الحصول على مستنبتٍ سائلٍ صِرفٍ متناسبٍ من مكروبات كوخ وتحقق بالادلة الدامغة والبراهين القاطعة ان هذا المستنبت تتغير حالتهُ تغيراً بيناً واضحاً اذا اضيف اليهِ بعض قطرات من مصل دم المصابين بالتدرُّن اياًّ كان مركز ذلك التدرن من الجسم ومهما

كانت حالتهُ من حيث حداثة عهدهِ او قدمهُ وانحصارهُ في نقطةٍ صغيرةٍ من الجسم او انتشارهُ فيهِ كلهِ . وبيان ذلك انَّا اذا وضعنا في انبوبة من زجاج جانباً من هذا المستنبت خمسة غرامات مثلاً ونظرنا الى هذا السائل وجدناهُ شفافاً وليس فيهِ شيءٌ من الكدر ثم اذا اضفنا الى هذا القدر من المستنبت قطرةً واحدةً من مصل دم مريض بهِ تدرنٌ وعدنا بعد مضي ساعتين او ثلاث فنظرنا الى المستنبت رأينا تحت سطح السائل كتلاً صغيرة جداً بيضاء اللون واذا راقبنا هذه الكتل نراها تتكاثف رويداً رويداً وتتضخم شيئاً فشيئاً حتى اذا زاد ثقلها النوعي عن ثقل السائل رسبت في قعر الانبوبة . والسبب في تكوين هذه الكتل هو ان ميكروبات كوخ التي كانت اولاً منتشرة في المستنبت السائل انتشاراً متساوياً نسبياً لا تلبث ان تتجاذب بعضها الى بعض ومن تكاثفها وانضمامها تتكون في سائل المستنبت تلك الكتل البيضاء . والدليل على ذلك انا اذا بحثنا بالمكرسكوب في قطرة من مستنبت ارلوان قبل اضافة مصل دم المتدرنين اليهِ وجدنا ميكروبات كوخ منتشرة فيهِ انتشاراً نسبياً متساوياً واذا بحثنا في قطرة من ذلك المستنبت بعد اضافة المصل اليهِ وجدنا ان الميكروبات قد تجاذبت وتجمعت والَّفت بقعاً وما بقي من السائل اصبح خالياً منها

فترون جميعكم ما لاكتشاف ارلوان هذا من الاهمية ليس فقط لتشخيص العلة التي نحن في صددها عند اول ظهورها اذ يتعذَّر فصلها بتاتاً عن سرطان الاعور بل لتشخيص كل تدرنٍ في بدء ظهورهِ سواءٌ كان السل الرئوي او تدرن المفاصل او العظام او الغدد اللمفاوية الى غير ذلك من الانواع التي تعرفونها . فكلما اشكل عليكم الامر وتعذر عليكم الحكم في ما اذا كان المريض مصاباً بالتدرن او مرض اخر فما عليكم الاَّ الاستعانة بطريقة ارلوان هذه لفصل الخطاب فهي طريقة علمية حقيقيه اثبتتها التجارب وهي الطريقة التي رجعت اليها وعولت عليها في بت الحكم نهائياً بان المريضة التي رأيتموها هنا كانت مصابة بتدرن الاعور المزمن وليس بالسرطان . فلما اخذت من مصل دمها ومزجت مستنبت ارلوان ببعض قطرات منهُ وتحققت ظهور الكتل البيضاء الصغيرة في السائل لم يبقَ عندي ادنى ريبٍ في ان الورم الذي شعرت بهِ في حفرة الحوض اليمنى كان ورماً درنياً

وهنالك طريقة اخرى يستعين بها بعض الاطباء المعرفة ما اذا كان في جسم المريض تدرُّن اولا وهي ان يحقن بسائل التوبيركولين tuberculine فان كان مصاباً بالتدرن يحصل فيهِ ردُّ فعلٍ شديد ويصاب بالحمى ولا يظن فيهِ شيءٌ من ذلك ان كان جسمهُ خالياً من الدرن . على اني لا ارغب في استعمال هذه الطريقة ولا اشير عليكم باستعمالها لانها احياناً كثيرة تضر بالمرضى ضرراً شديداً اذ شوهد ان بعض المصابين بتدرنٍ بطيء السير ومحصور في قسم صغير من اجسامهم متى حقنوا بالتوبيركولين يستحيل فيهم الداء من مزمنٍ الى حادّ ومن بطيء السير الى مستعجلهِ وقد ينتشر التدرُّن في كل اجسامهم فلا يلبثون ان يموتوا بسلٍّ رئويّ شديد الوطأَة سريع السير . فهي والحالة هذه طريقة تربو اضرارها على فوائدها واجدر بنا تركها جانباً لاسيما وان لدينا الآن طريقه ارلوان التي تأتي بنفس الفائدة وليس من استعمالها اقل خطر على حياة المريض

وبعد ان بتت الحكم نهائياً بان المريضة مصابة بتدرُّن مزمنٍ في الاعور نصحت لها بعملية شق البطن واستئصال الورم فعملت بنصيحتي بلا تردد وفي الغد شقَّ جراح المستشفى بطنها واستأْصل قسم المعى المصاب بالتدرن فبلغ طولهُ اثنين وعشرين سنتمتراً منها سنتمتران من المعاء الدقيق عند اتصالهِ بالغليظ وما بقي اي العشرون سنتمتراً من القولون الصاعد كلهِ بما فيهِ الاعور طبعاً وقسماً صغيراً من القلون المستعرض

وقد بحثنا في الورم بعد استئصالهِ فوجدناهُ محاطاً بطبقة سميكة جدًّا من نسيج دهني ليفي ووجدنا في جدران الامعاء لا سيما في جدران الاعور قروحاً درنية احدثت صلابةً وسماكة في الاغشية المعوية وضيقاً في تجويف المعى ولما بحثنا تحت المكروسكوب في جزءٍ من الاغشية المتقرحة وجدنا فيهِ عدداً لا يحصى من ميكروبات كوخ

ولم تمضِ ثلاثة ايام على العملية حتى عادت للمريضة قابليتها للاكل وزالت منها الآلام وانقطع الاسهال وما زالت حالتها متحسنة شيئاً فشيئاً حتى اصبحت كما رأيتموها الآن على صحةٍ جيدة لا تنتظر سوى ساعة خروجها من المستشفى انتهى

باريس الدكتور ابرهيم شدودي

عروسة النيل [1]

الفصل الاول

دانت مصر لجيوش المسلمين وخضع اهلها لفئة قليلة من الغزاة الفاتحين اتوها والبسالة شعارهم وحب الفتح رائدهم فاستولوا عليها و بعد ان كانت يتيمة في تاج قياصرة الروم اصبحت تعترف بسيادة الخليفة عمر بن الخطاب ورُفعت رايات الاسلام على معاقلها وحصونها

وكان صيف ٦٤٣ (اي لثلاثين شهرًا بعد الفتح) شديد القيظ قليل الخير والبركات اخلف فيهِ النيل عهدهُ ولم يفِ بوعدهِ فلم يكد المصريون يفرغون من حفلات نزول النقطة (١٧ يونيو) حتى تبين لهم ان عامهم سيكون كثير القحط والجدب لان ماء النيل اخذ يتناقص بدل الزيادة ويهبط عوض الارتفاع

ففي ١٠ يوليو من تلك السنة وصلت الى منف [2] مدينة الاهرام قافلة صغيرة آتية من الشمال وفي مقدمتها احد تجار العرب واسمهُ هاشم وهو كهل عليهِ هيئة النعمة وفي وجههِ وعينيهِ سمات التأني والصبر والدعة وعلى ملامحهِ اثر العزم والنشاط ومن ورائهِ كوكبة من الفرسان تدججوا بالسلاح وكلهم رهن اشارتهِ وطوع امرهِ والى يسارهِ زعيم ادلاَّء المدينة وتراجمتها راكبًا على حمار . وكانت منف قد فارقتها زهوتها وغادرها مجدها وانحطت عن سابق مقامها الرفيع وعزها الشامخ ايام كانت شوارعها وسبلها تضيق بقوافل التجار وتغص بمركبات البضائع المشحونة اليها من الآفاق ومواكب الملوك والامراء وذوي اليسار من اهلها تسد الفضاء . ولم يخفَ هذا التبديل على عين التاجر فطفق يسأل الدليل عن اسباب تقهقر المدينة ويعجب لانحطاطها الى ان قال "وقد كنت اطرق هذه العاصمة منذ ثلاثين سنة متجرًا واراها اليوم غير ما كانت عليهِ بالامس فكنت فيما مضى اطوف بين القصور الشاهقة والحدائق النضرة وارى اليوم الخراب محيقًا بي كيفما سرت فقل لي مَن الذي اتلف هذه الكنيسة الفخيمة فان المسلمين لم يتعرضوا بسوءٍ لبيَع المسيحيين كما سمعت من قائدنا عمرو بن العاص

الدليل — هذه كنيسة الروم الملكيين القائلين بالطبيعتين في المسيح فقد كان منهم في منف

(١) (المقتطف) هي احدى روايات العلامة جورج ايبرس الالماني وصف فيها احوال القطر المصري لما فتحهُ القائد الشهير عمرو بن العاص في اواسط القرن السابع للميلاد . نقلها الى العربية صديقنا الكاتب الفاضل خليل افندي ثابت وقد علقنا عليها ما يلي من الحواشي اتمامًا للفائدة

(٢) عاصمة القطر المصري القديمة كانت مبنية حيث ترى خرائب البدرشين وميت رهينة الآن

فئة كبيرة استعانت علينا بامبراطورهم فعاملوا اهل البلاد معاملة العبيد واجبرونا على الصلاة في كنائسهم ومن منَّا نطق بايمانهِ بالطبيعة الواحدة عاقبوهُ كما يعاقب العصاة الى ان جاء قومك ورفعوا عنا نيرهم الثقيل فحصدوا الآن ما زرعوهُ ايام سوددهم وسطوتهم وبغيهم ولم يبقَ في مصر والحمد لله سوى المسلمين واليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة فانتم طردتم الروم عنَّا ونحن خرَّبنا كنائسهم

التاجر — لكن الملكيين اخوانكم في الدين وجميعكم نصارى

الدليل — ذلك قولهم على اننا لا نسلم بنصرانيتهم بعد الذي اشتهر من هرطقتهم اما نحن اليعاقبة او القائلين بالطبيعة الواحدة فلا نسلّم مقدار ذرة من اعتقادنا واما اذا قضي على ديانتنا بالفناء فاني افضل الاسلام على الاعتراف بالحادهم ولتقطيعُ اوصالي وموت زوجتي واولادي اهون عليَّ من ارتكاب هذا الكفر الشنيع اي القول بطبيعتين في السيد المسيح ولا يغرب عنك ان في الاسلام الآن مزايا شتى فانتم اليوم حكامنا واولياء الامر فينا لا زلتم كذلك ولما كان لا بدَّ لنا من حكم الاجانب فأهون علينا ان نؤدي جزية طفيفة لخليفتكم الحكيم العادل من ان نرغم على تأدية اضعافها الى امبراطور الملكيين . وقد احسن الينا جريج ابن مينا المقوقس (٣) في مسالمتكم لانكم اهل مروءة واحسان وعدل وانتم جيراننا ولا يبعد ان نكون واياكم جنساً واحدًا فلا غرو اذا فضلناكم على هراطقة القسطنطينية مضطهدي البشر

ولما قال هذا دار بالقافلة في عطفة تؤدي الى شارع عريض نظيف يحاذي النيل فلما ساروا فيهِ قال التاجر

— سمعت عن المقوقس هذا وقد عرفت اباهُ من قبلهِ رجلاً فاضلاً موسرًا وسمعةُ الابن طيبةٌ نقل لي ألا يزال ينعت بالوالي

الدليل — نعم يا مولاي فانَّ اسرتهُ اعرق اسر المصريين نسباً واكبرها جاهاً وقد تعاظمت ثروتهُ بما حملتهُ اليهِ زوجتهُ من المال وهو مثال الحكمة والعدل يرقب سير الامور بعين اليقظ الحازم لكنهُ اليوم ضعيف عليل حتى ان قائدكم يعبر النهر اليهِ اذا اراد لقاءهُ . فقد كدر الروم صفاء عيشهِ وبدلوا نشاطهُ بالضعف فاسأل اهل وادي النيل يجيبوك ان العشب لا ينمو حيث تقع اقدامهم ولقد يظن الواحد لاول وهلة ان مقام المقوقس من حيث هو نائب القيصر

(٣) اختلف الكتاب في من هو المقوقس الذي ذكر مؤرخو العرب انهُ كان واليًا على مصر وقت الفتح وقبلهُ والمرجح الآن انهُ والٍ صغير من ولاة الاقاليم ساعد عمرو بن العاص على دخول مصر وان المقوقس لقب لهُ وهو باليونانية μεγαυχής اي الفخور او المجيد واسمهُ جريج بن مينا على ما قالهُ المؤرخ الشيخ ابو صالح الارمني

يعصمهُ من ختلهم وجورهم ولكنهم لما ثاروا على طائفتنا في الاسكندرية بدسائس بطريقهم قتلوا ابنيهِ وكلاهما في عنفوان الشباب فسحقوا نفس الاب وهدموا ركنهُ

التاجر — افأَصبح من غير ولد

الدليل — كلاَّ فقد بقي لهُ ابن وحفيدتهُ ماري من احد ابنيهِ القتيلين وهي مقيمة في بيت جدّها وقد عاد ابنهُ من القسطنطينية بعد غيبة طويلة فاحتفلوا بعودتهِ وخرجت المدنية باسرها للقائهِ فنصبوا اقواس النصر ونثروا الخضرة والازهار ونفروا زرافات ليروا ابن المقوقس العظيم وكانت النساء في طليعتهم وقد اخبرني اخي وهو مهذبهُ في صغرهِ ان الشاب مفرط في الذكاء والآمال معقودة بنجاحهِ وفوزهِ على اني اخالهُ سيقع في اشراك النساء فهو جميل طويل القامة بهيّ الطلعة تعجب بهِ الحسان وهنَّ حولهُ كثيرات

التاجر — وما عليهِ من ذاك فان لم يكن فيهِ سوى هذا العيب فلا بأس عليهِ وقد اعجبني وصفك اياهُ

الدليل — لكنني لست منفرداً في هذا الزعم فان اخي مهذب الفتى يقول قولي فاذا لم يتدرع ابن المقوقس بالفضيلة والحزم فبهاء طلعتهِ وجمال وجههِ سيطوّحان بهِ في مخاطر جمة وعواقب مشومة وعندي ان من واجبات الشبان كبح جماح شهواتهم وصيانة شبابهم ومع ذلك فقد ملك هذا الفتى حبّة قلبي فاذا بسم في وجهي خلت السعادة اشرقت شمسها في طريقي ومثلي الوف في منف يشعرون شعوري لا سيما النساء فقد فتنهنَّ الاَّ ان بعضهنَّ يبكينَ دماً بدل الدمع من اجلهِ وايم الحق . . . . اذكر الذئب . . . . قفوا يارجال وانظر يامولاي فان الذي نتكلم عنهُ قادم

— وهل هذه مركبتهُ

— نعم وهذه خيلهُ التي جاء بها من القسطنطينية تسابق البرق وتسبق الريح وقد اخفتني موكبهُ الآن وراء السياج ولكنك تراهُ من حيث انت على الهجين وهذه ابنة سوسنة الارملة كانت جالسة معهُ في المركبة وهذا البستان وذاك البيت لها وها قد دخلا البستان

— او ليس هذا بيت فليمون تاجر الحنطة

— نعم وهو زوج سوسنة هذه تزوجها كهلاً واولدها وحيدتها ووريثة امواله واغنى بنات البلاد وهي خفيفة الروح قصيرة لمن كانت في سنها وكأَنها حمامة في جسم فتاة حتى لقبها القوم هنا "بحمامة الماء"

— حبذا اللقب فهي صغيرة الجسم لطيفة القوام بسيمة الوجه وقد وقعت في عيني احسن

وقع فما اسم ابن الحاكم

— اسمهُ اوريون

— لم تبالغ يا صاح في وصفهِ فقلَّ ان تقع العين على مثلهِ طولَ قامة وجمالاً وحسن معانٍ ولا غرو اذا علقت الحسان بحبهِ فمن كان مثلهُ فهو يفتن امهُ في المهد ثم تلحق بها سائرَ النساء وارى امارات الصدق والبسالة والفطنة تلوح في وجههِ ولو خلَّف رداءهُ الارجواني وحلاهُ الذهبية في القسطنطينية لاحسن لان هذه الحلي والحلل لا تجانس مدينتكم الخربة المظلمة . قال هذا ولبث يتأمل في ما يجري امامهُ فرأى اوريون يضع في حضن الفتاة كلباً ابيض صغيراً فقبلتهُ هذه وقصفت ساق سنبلة ولفتها على عنقهِ كانها تقيسها وظلاَّ كذلك ساعة يتحدثان ويتضاحكان حتى اذا همَّ الفتى بالانصراف نهضت الى شجرة فقطفت منها زهرتين فتقدم الفتى يريد اسعافها فلطمتهُ على يدهِ وناولتهُ الزهرتين ووجهها يتهلل فرحاً فأخذ الزهرتين منها وقبَّل مكان اللطمة ثم انحنى واسرَّ في اذنها كلاماً فرمتهُ بما في يدها واندفعت تعدو الى البيت وهو يناديها وسمعهُ التاجر يصيح ياكاترين يا كاترين الفتانة . فسرَّ التاجر بما رآهُ وكأن ذكرى ايام الشباب عاودتهُ فابرقت اسارير وجههِ وتمنى للاثنين الرغد والسعادة

ولكن اوريون لم يكد يخرج من البستان حتى رمى بالزهرتين الى الارض وامر السائق بالعودة الى البيت فاندفعت الخيل كالبرق الخاطف حتى حجبها الغبار . فحزن التاجر لقلة وفائهِ وامر غلامهُ ان يلتقط الزهرتين من الرمل ففعل ثم التفت الى الدليل وقال "لقد صدق اخوك في ظنهِ فستكون النساء عقبةً في سبيل هذا الفتى ويكون عقبةً في سبيلهنَّ فما قصة هذه الفتاة"

الدليل — سمعت ان ابويهما اتفقا على تزويجهما والمرأتان على ثروة طائلة والفتاة تحسب الامر مقضيًّا امَّا الآن وقد وارت الاهرام الشمس وخفَّ الهجير فخير لجماعتك ان يذهبوا الى ذلك الخان حيث لا يعدمون الظلَّ واسباب الراحة .قال هذا واشار الى بناءٍ ضخم قديم العهد

التاجر — ليذهب الرجال بالجمال الى الخان اما انا ورستم (شيخ القافلة) فنبغي لقاء الحاكم فسر بنا اليهِ قبل الظلام

الدليل — احبُّ الى المقوقس استقبال زائريهِ في العشية منهُ في النهار فان تبغي لقاءهُ فهات ديناراً ادفعهُ الى سبك القهرمان وانا اضمن لك ما تريد فالبث في مكانك ريثما اسرع الى القصر واُوافيك بالخبر اليقين

الفصل الثاني

كان الخان الذي اشار اليهِ الدليل قائماً على مرتفع من الارض تحيط بهِ اشجار النخل وهو

البقية الباقية من هيكل فخيم لامحوتب اله الطب والشفاء عند المصريين فاشتراهُ احدهم بثمن بخسٍ واتخذهُ فندقاً يأوى اليهِ القوافل وباعة المواشي وفتح بستان النخل متنزهاً لاهل المدينة فوضع فيهِ الموائد والكراسي على ضفة النهر وابتاع بعض القوارب قصد اكرائها لمن يريد منهم النزهة في النيل فصار فندقهُ مجمعاً للتجار والجزارين وبستانهُ مقصداً لاهل منف يتنشقون فيهِ النسيم البليل ويتعللون بالشراب المنعش

وكان عمرو بن العاص قد شرع يبني مدينتهُ في العدوة الشرقية فاقام جسراً (كبرياً) من القوارب على النيل وامر الفعلة بنقل الاعمدة والسواري وحجارة الرخام من انقاض آثار المصريين الى الفسطاط وكان هيكل امحوتب هذا مغشاة جدرانهُ بالرسوم والنقوش القديمة فكساها الدخان حلّة سوداء بيضها الخلف بالشيد وملأُوها بالآيات والرموز باليونانية والمصرية فجلس التاجر واتباعهُ في صحن الهيكل يتعشون ويطفئون ظمأَهم بالماء القراح الأ رستم شيخ القافلة وهو فارسي مجوسي يشرب الخمر ولما اكتفوا التفت التاجر اليهِ وقال مُرهم ان يحملوا القطيف ويحسنوا شدهُ فقال رستم لقد فعلوا

فقال التاجر اذا هيَّا بنا نسبقهم . وتقدمهُ الى بستان النخيل . وكانت الشمس قد توارت وراء الاهرام والمدافن والهضاب الليبية وبدا الجبل الشرقي وبابل (٤) في العدوة الشرقية يختلف من بديع الالوان يبهر النظر وكأَن الورد اعار الجبال والسهول الوانهُ فمن ذهبي الى قرمزي الى كميت تتعاقب في تلك البطاح كحسو الطير اوكلمح البصر فشرح هذا المنظر صدر التاجر فالقى يدهُ على ذراع المجوسي وقال "علمكم نبيكم انَّ الله لا يريد ان يظن الواحد افضلية في نفسهِ على غيرهِ وان الناس اكفاء فيجب ان لا يكون بينهم غني او فقير بل تقسم خيرات الارض بينهم على السواء فتامل الآن في ما امامك من بديع المناظر واعلم ان ما تراهُ ملك الفقير والغني وقد قسم الله لنا نصيباً واحداً في جمال اعمالهِ وبهائها فلنقتنع بما قسم لنا اما الاموال والمقتنيات فحكمها غير ذلك فنحن في هذه كخيل الطراد والسابق فينا الفائز لكنك ونبيك تريدان ان يشد الى رجلي السابق منا ثقل من الرصاص يعيقهُ عن الجري فلا يفوت غيرهُ . تأمل بحقك في جمال ما تراهُ وما يعتريهِ من تبدل الالوان وتعاقبها وتغير الاشكال فهل رأَيت فيما رأَيتهُ من الجواهر المتألقة ما هو ابدع من تلك السحابة المطرزة الحواشي"

فضحك المجوسي وقال اصبت يا مولاي في وصف ما تراهُ وقلَّ ان يبدو من ذلك شيء في بلادنا على ان جواهر القطيف احبُّ اليَّ من الياقوت والجمشت اللذين يبدوان لك في

(٤) او حصن بابل مصر القديمة التي بنيت الفسطاط على خرائبها

تلك الغمامة وانا اعطيك ابدع المناظر اذا اعطيتني بضائعك فاكون الرابح وابيعها واعود الى بلادي فاشتري فيها عقارًا واتزوَّج امرأة حسناء واقضي بقية العمر في تربية الخيل والسائمة واما من جهة تعاليم نبينا فلسوف يحقق الزمان امانينا فيها

التاجر — ومتى تم لك جميع ذلك يأتيك من هو افقر منك و يطالبك بنصيبهِ من ثروتك ويتبعهُ غيره فيأخذ هذا جملاً وذاك ناقة وذلك جوادًا الى ان تعود الى سابق فقرك وتبقى زوجتك الحسناء حملاً عليك فانبقِ القديم على قدمهِ يارستم وليكلأْك المهيمن برحمتهِ

فقبَّل المجوسي يد سيدهِ وشكرهُ. وفيما هما كذلك اقبل عليهما الدليل فاخبرهما ان المقوقس خرج للنزهة في سفينتهِ على خلاف العادة ومعهُ سيدات بيتهِ وابنهُ وبعض الحاشية الى ان قال وكأن عودة اوريون اعادت النشاط الى ابيهِ وجددت ما خلق من همتهِ . ثم نصح التاجر ان يؤجل الزيارة الى الغد ودلَّهُ على فندقٍ في المدينة استجمع اسباب الراحة والنظافة . اما التاجر فلم يرعهُ هذا التسويف اذ كان في نيتهِ استشارة احد اطباء منف المشورين مستشفياً من علةٍ بهِ فدلَّهُ الدليل على طبيب اسمهُ فيلبس قال عنهُ انهُ امهر اطباء المدينة وان المقوقس لا يثق الاَّ بهِ . ولما كان المساء بهيجاً ارتأى التاجر ان يقضي بعض ليلتهِ حيث كان يمتع العين والقلب بجمال تلك المناظر و يرقب النجم ذا الذنب الذي ظهر في تلك السنة فارعب المصريين والبسهم لباس الخوف حتى نكبوا عن الخروج من بيوتهم في الليل . فذهب الدليل يطلب الطبيب وجلس التاجر ورستم شيخ القافلة على مقعد مقابل النيل وكلاهما يفكر في شؤونهِ. والنهر في تلك الساعة كمنطقة من الفضة انعكس عنها نور القمر وعلى صدرهِ الجواري ناشرة شراعها تتهادى كسرب من الطير واذا بسفينة اقتربت الى حيث كانا ثم سمعا وقع حوافر فالتفتا الى الوراء وابصرا مركبة يجري امامها حاملو المشاعل فقال التاجر يلوح لي ان هذه سفينة الوالي وقد جاء من المدينة فيها على نية العودة اليها في مركبتهِ ومن غريب الاتفاق انني لقيت ابنهُ مرتين اليوم . قال هذا واخذ يحدق النظر في السفينة ومن فيها وكانت مصنوعة من خشب الارز المحلى بالذهب وعلى مقدمها تمثال القديس يوحنا حامي اسرة المقوقس والمصابيح تقذف انوارها من جهاتها الاربع فابصر المقوقس متكئاً تحت مظلة والى جانبهِ زوجتهُ وامامهما ابنهما وفتاة يونانية طويلة وابنة في العاشرة اسندت رأسها الى ركبة تلك الفتاة والى يسار هؤلاء مهذبة الابنة والطبيب فيلبس وكان اوريون ينقر على القيثار نقر بارع بفن الموسيقى وهو يحدّق في الفتاة الطويلة القامة تحديق الواله كانما يعزف لها وحدها دون سائر الحاضرين وكأن تلك الاسرة صورة تمثل الوفاق ورضاء العيش والهناء والرغد

ولما رست السفينة اتي العبيد ليرفعوا سيدهم من مجلسهِ الى المركبة فنهض اوريون ودفعهم الى الوراء ثم احتمل اباهُ كمن يحمل اخف الاشياء وسارت امهُ والطبيب وراءهُ حتى اذا وضع حملهُ صاح بالسيدات الباقيات في السفينة ان يوافينهُ الى البرّ وعاد اليهنّ يتقدمهُ حملة المشاعل . فرقّ التاجر لضعف المقوقس ورثى لهُ لكنهُ قال في نفسهِ من كان هذا ابنهُ فاشدّ النوازل تضمحلّ لديهِ كما يفرق الريح السحاب . ولما نزلت الفتاة الطويلة الى البر تأملها فرأى جمالاً بارعاً وقامة تسيل الرقة من معطفيها وطلعة كالبدر تبدو منها العظمة والوقار وسمعها تدل البنت على مواقع بعض الكواكب وتشير الى المذنَّب فاطربهُ صوتها الرخيم ومنطقها العذب . ولما كان منهم بحيث يرَى ولا يُرى لبث يتأملهم جميعاً وشرح صدرهُ ما شاهدهُ من الحنوّ والرقة والجمال وعاد اوريون الى السيدات يحادثهنّ والتاجر يقابل بين ما فعلهُ مع كاترينا في العشية وبين تصرفهِ مع هذه الفتّانة فقد كان الآن مقيَّد النظر بوجهها وهو يطرفها باحاديث الجدّ والهزل وهي ماشية الهوينا وقد انبعث الرضا والاخلاص من وجهها كما تنتشر الرائحة الزكية من زهرة بديعة خلقت لتكون بهجة للناظرين وكانت هي تصغي الى حديثهِ اصغاء من يرى في وجه المتكلم شيئاً الذ من كلامهِ

ثم جلسوا الى مائدة في البستان وجاءتهم زوجة صاحب الفندق بالكعك واللبن والعنب والفاكهة وقلبها يطفح سروراً وحبوراً لتشريف ابن المقوقس بستانها فقد كانت عادتهُ ان يتردد الى هناك ايام الصبا مع اصدقائهِ فاخذت تصف لهُ ما شملها من الفرح بعودتهِ وكيف انها خرجت وزوجها وابنتها وصهرها للقائهِ ثم قالت ان ابنتها تزوجت ورزقت ولداً سمتهُ اوريون تيمناً باسمهِ فشكرها وسألها عن ابنتها ثم قال للسيدات "والابنة كالام في جمالها ولطفها" فضحكت الام واومأت الى الفتاة اليونانية وسألتهُ ما اذا كان الطائر الغريد لا يزال مطلق الجناح او اوشك ان يزج في القفص فاخبرها انهُ لم يزل حرًّا ولكنهُ بدأ يشعر بلذة الاسر ولما قال هذا صبغ الحياء وجه الفتاة فحوّل الحديث وافاض في مدح صاحبة الفندق وكلفها ان تهدي سلامهُ الى ابنتها ثم تناول قيثارهُ وعزف لحناً اقترحتهُ عليهِ الفتاة وغناهُ بصوت رقيق وهي تنظر اليهِ نظرات المشوق ولما حان وقت الانصراف نهضت السيدات يطلبن السفينة وذهب اوريون الى الفندق ليحاسب صاحبهُ فلما عاد وجد منديل الفتاة على الخوان فالتقطهُ وقبلهُ ثم هرول الى السفينة كل ذلك والتاجر ينظر وهو يعجب لما جرى وتعطش لتعرُّف الفتاة والوقوف على علاقتها بابن المقوقس فلما عاد الدليل سألهُ عنها فاخبرهُ هذا انها باولين ابنة توما قائد الروم المشهور الذي دافع عن دمشق يوم فتحها العرب فلما انجلت المعركة عن فوزهم طلبوهُ

فلم يجدوهُ فلجأت ابنتهُ الى خالها المقوقس ولم يرَ الدليل فيها عيباً سوى مذهبها فكان في عينيهِ اقبح العيوب حتى اذا ما اطنب في وصف جمالها عاد فأسهب في الكلام على كبريائها الى ان قال وزوجة المقوقس لا تطيقها في بيتها الاَّ اكراماً لزوجها وحباً بحفيدتها ماري لتعلق هذه بها . على ان جمال الفتاة وبهاء طلعتها وقعا في نفس التاجر احسن موقع فلم يحفل بكلام الدليل ولما جاءهُ الطبيب فيلبس بعد ان انتهى من خدمة المقوقس سألهُ عنها فجاء جوابهُ مطابقاً لظنهِ فيها اذ قال ان ابنة توما هذه من اكمل المخلوقات التي خلقها الله على ان العناية لم تعنَ بصيانة صنع يديها لان حياتها كانت سلسلة من الشقاء والعذاب . ثم فحص التاجر ووقف على علتهِ فوعدهُ بان يصف لهُ دواء يخفف كربهُ ويقرب شفاءهُ وافترقا صديقين حميمين

ستأتي البقية

باب المراسلة والمناظرة

اعتصاب العمال

استدراك

نشرتُ في الجزء الماضي مقالة بعنوان " شباننا والعمل " بحثتُ فيها مطوَّلاً عن علَّة بطالة بعض شباننا وعدم نجاح البعض الآخر منهم في الاعمال التي يتعاطونها حالة كونهم كلهم من الشبَّان الذين تهذَّبوا في المدارس العالية وألمُّوا بكثيرٍ من العلوم الابتدائية واللغات الاجنبية والاعمال كلَّ يوم على ازدياد . وقد بيَّنتُ فيها أنَّ شباننا انفسهم هم علَّة البطالة وعدم النجاح الذي نراهُ بين اكثرهم لأنهم يطمحون بابصارهم الى الغنى السريع والتقدم العاجل و يطلبون ان يكون لهم بعد تعب ايام قليلةٍ او اشهرٍ معدودة حق مشاركة ارباب الاعمال في ارباحٍ قضوا السنين الطوال في السعي وراءها وافنوا عزيز العمر جدًّا وكدًّا وبحثاً وتنقيباً وتجربةً واختباراً واستنتاجاً واستقراءً ومكابدة اخطارٍ مالية وصحيَّة حتى تمكنوا من تأسيس العمل وادارتهِ واستدرار منافعهِ

وحدث في اواخر الشهر الماضي اعتصاب بين عمال الخيَّاطين كان لهُ في العاصمة حديث مذكور ومشهد مشهور وتناقلت خبرهُ الصحف اليومية والاسبوعية وفصَّلتهُ تفصيلاً لا محلَّ

لإثبات شيءٍ منهُ هنا لانهُ خارج عن موضوع المقتطف . لكنَّ فريقاً من الكتبة الادباء صدَّقوا دعوى الخياطين وصوَّبوا اعتصابهم وجاهروا بآرائهم قائلين ينبغي لارباب العمل "الاوسطاوات" ان ينصفوا عمَّالهم ويزيدوا اجورهم ويمكنوهم من ان يقاسموهم سهماً من ارباحهم . ثم استحسنوا هذا الاعتصاب من وجهٍ آخر مدَّعين انهُ دليل حيوية الامة ونهضتها للمطالبة بحقوقها المبخوسة

فاذا صحَّ هذا الادّعاء نقض كلَّ ما اثبتهُ في مقالتي السابقة اذ يكون ارباب الاعمال انفسهم علة تأخُّر العمال كافَّة في كل صناعةٍ وحرفةٍ . وهذا ما دعاني الى الاستدراك دفاعاً عما ذهبتُ اليهِ قبلاً ونفياً لما يوهم عدم صحتهِ فاقول

ان اعتصاب الخياطين لم ينشأْ قطُّ عن اهتضام "الاوسطاوات" حقوقهم ونقصهم اجورهم لاننا لم نسمع باتفاق عامٍّ عقدهُ الاوسطاوات فيما بينهم وسنُّوا فيهِ اجرةً معينةً لجميع عمالهم وهب انهم ارادوا ذلك فلا يستطيعون اليهِ سبيلاً ولا هو من مصلحتهم . ولا يتفق ان يكون كلُّ عاملٍ مبخوس الاجرة مهضوم الحقّ . نعم يتفق ان يكون بينهم افراد قلائل امتازوا بالحذق والذكاء وتفرَّدوا بالمهارة في صناعتهم فاستحقوا من الاجرة اكثر مما يتناولون ولكنَّ امثال هؤلاء ليسوا بسببٍ كافٍ لاعتصابٍ عامٍ شاملٍ كل ابناء الحرفة وهذا امرٌ بديهيٌّ لا حاجة الى اطالة الكلام في ايضاحهِ

فالسبب الحقيقي لم يخرج عن كونهِ طموحاً في نفوس العمال الى مشاركة الاوسطاوات في ارباحهم وقد اقترنت بهِ اسباب أُخر ملابسة ومهيئة من مثل حب الربح العاجل وغلاء اسباب المعايش في الوقت الحاضر وتحريش احد كبار الاوسطاوات لعمَّال زميلٍ لهُ على الإضراب عن العمل نكايةً بهِ وسعاية أرباب مخازن الملابس "الجاهزة" واستعدادٌ طبيعي في نفوس سواد العمال للاعتصاب لكونهم اجانب متعوّدين ذلك وهو ان لم يوافق مصلحتهم لا ينافيها

اما كونهُ دليلاً على حيوية الامة ونهضتها للمطالبة بحقوقها المهضومة فليس بصحيح لان سواد المعتصبين اجانب من يونان وطليان وغيرهما وليس العمَّال الوطنيُّون من مصريين وسوريين الأعدداً قليلاً بالنسبة اليهم. اولئك الاغراب نفخوا ببوق الاعتصاب فانقاد اليهم الوطنيون بعامل الانجذاب وكان من امره ما كان

اذاً هو اعتصابٌ اجنبيٌّ غربيٌّ ولا علاقة فيهِ لنا الا المكان. فكيف يصحُّ اتخاذهُ دليلاً على حيوية الامة . نعم للامة ادلة غير هذا على حيويتها ونهوضها للمطالبة بحقوقها من حيث حرصها على القيام بواجبتها نحو الحكومة ومطالبتها للحكومة بكل ما لها عليها من الحقوق . اما

مثل هذا الاعتصاب فلا يتخذ الأ دليلاً على ولوع الانسان بالطفرة وهي محال. وطموح الفقير الى مشاركة الغني في امواله وهو حرام غير حلال ومحال في محال

اسعد داغر

وساوس لا هواجس

لقد صدق ظن حضرة كاتب المقالة "هواجس ام وساوس" حيث قال ان كثيرين من القراء متى اطلعوا عليها حسبوها اضغاث احلام . نعم وهي كما قال . على انها وان كانت لا تزيد على ذلك فهم لم يعرضوا عنها بوجوه باسرة اذ من الاحلام ما يحتمل التفسير و يعود بالخير او بالشؤم على صاحبهِ . واملي ان لا تجني احلامهُ هذه عليهِ ما جنى الحلم على رئيس الخبازين فيأوب بصفقة الخاسر كما اوجس في صدر مقالهِ

هذا واني لا احسب مقالة حضرة الكاتب خليقة بالرد والتخطئة . وليس ذلك عن مخالفتهِ لقواعد الصرف والنحو والبلاغة والبيان والمنطق فيها فانا عرفناهُ كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً بل لانهُ اعتمد على ما يراهُ غيرهُ ويقول بهِ ولم يعتمد على نفسهِ ولا أورد رأياً من عندهِ. وكاتب لا يعتمد على نفسهِ في ما يقول لجديرٌ بان لا يطالَب بما نقلهُ عن غيرهِ ولكني استحسنت ان اسبل ذيل الصفح على ما اتى وابسط لهُ ما اشكل عليهِ فهمهُ بالنيابة عن حضرات السيدات اذا سمحن لي بذلك

كأني بحضرة الكاتب وقد جلس اليهِ محدثوهُ يناجيهم ويناجونهُ ايوب الصديق وقد التفَّ حولهُ اصحابهُ . وحبذا لو اتمَّ التشبه بهِ الى الآخر فاتانا ببعض بنات افكارهِ ولم يقتصر على الارق والاجتماع باصحابهِ ومجرد سماع ما يتلونهُ عليهِ في التشبه بهِ ولم يكتفِ بما قالهُ هذا وذاك منهم

ليس في جواب صاحبهِ الاول ما يستحق الردَّ لانهُ لم يتخطَّ فيهِ حدَّ المجاز الى الحقيقة بل طار في سماء الخيال وهام في فيافي الاوهام واجاد في حسن التعليل ولكن ضالتنا المنشودة هي الحقيقة ولو كان عنوان الكاتب نفسهِ خيالاً في خيال

واما الثاني فانهُ خرج عن الموضوع لحك حزازات وشفاء احقاد قديمة في بعض الصدور على ما يظهر فان كان يروم البحث في الموضوع الذي تخلص اليهِ فليفسح لهُ مجالاً آخر وليعين لهُ فرصة اخرى وانا اصمد لنزالهِ . وقد شطَّ في جوابهِ ولم يصب المحجة لان اللواتي اشتغلن بالكتابة من نسائنا لم يكنَّ من ربَّات الازياء والزينات . فالتزيي والتزين لم يقفا ولن يقفا في سبيل الكتابة والكاتبة

واما الثالث فلم يكن اقرب الى الصواب من سابقيهِ بل ابعد منهما عنهُ بمراحل . فقد اعترف انهُ وجدت كاتبات ولكنهُ استدرك على ذلك قولهُ ان كتابتهنَّ كانت لاغراض في نفوسهنَّ وهذا لا ينفي كونهنَّ كاتباتٍ .واما تقسيمهُ الكتابة الى حقيقية وعارضة فما لم افهمهُ ولا اظنُّ احداً يفهمهُ او يسلم بهِ . اذ الكتابة خلة لازمة للنفس كالشعر والموسيقى وسائر الفنون الجميلة والفضائل كالكرم والشجاعة والنقائص كالبخل والجبن . وليست صفة عارضة منفكة عنها كالمرض والنوم والجلوس والقيام وغيرها من الاعراض المنتقلة

واما الرابع فقد "وسع ذمتهُ" وبالغ في الاتهام والتحامل باعتراف حضرة الكاتب فما دام واسع الذمة يحملها ما شاء متحاملاً يضرب ايان شاء فلا سبيل الى جوابهِ لا سيما وان ادعاءهُ حرجٍ جارح . اما الاول فلأَنهُ يستحيل الخوض فيهِ واثباتهُ . واما الثاني فلأَنهُ يؤلم عواطف الكاتبات اللواتي "ابرزن عرائس افكارهنَّ" بروزهنَّ ايام الاعراس

واما الخامس فجرى مجرى الكاتب نفسهِ في انهُ لم يقل قولاً ولم يبدِ رأياً بل أشار بالالتجاء الى حكم منصف . وقد اصاب في اختيار الحكم فانهُ ابن بجدتها . فان انصف رضينا بحكمهِ والاَّ فهو ليس "بالحكم الترضى حكومتهُ"

يطلب حضرة الكاتب ان يرى كاتباتنا و يتساءل عن السبب في قلتهنَّ فليرنا اولاً كتَّابهُ وكثرتهم . وما كنتُ لاطلب منهُ ذلك اولاً لو لم يكن الرجل مدَّعياً حق الاولية والتقدم على المرأة مستأثراً بالقوة وحدهُ متسلطاً عليها قاصراً قواهُ الادبية والمادية على انماء اخوتهِ وبنيهِ اولاً تاركاً اخواتهِ وبناتهِ يجرين خلفهُ مقصراتٍ متدرجاتٍ في سلم الارتقاء تدرجاً بطيئاً على حسب ناموس النشوء والارتقاء الاجتماعي . ولما كانت الطفرة في الطبيعة امراً مستحيلاً وكانت العوامل الخارجية المساعدة على ترقية المرأة ومجاراتها للرجل معدومة او قليلة فلا عجب اذا بقيت مقصرة عنهُ ما دام هو صاحب الامر والنهي واليد الطولى في ذلك

ومع ما في معاملة الرجل للمرأة من الغبن الفاحش لها والسيطرة عليها والعبث بحقوقها لا تكاد ترى فرقاً بين الطرفين في ما نحن بصددهِ . فان الكتَّاب الحقيقيين كما سمَّاهم حضرة الكاتب يعدُّون على الاصابع ونسبتهم الى مجموع المتعلمين المتهذبين اقلُّ من نسبة الكاتبات الى المتعلمات المتهذبات هذا على فرض ان الاحوال والوسائط متساوية والظروف واحدة وهي ليست كذلك كما تقدَّم . فاولاً ان الرجل لا يسلم بمساواة المرأة لهُ وبالتالي لا يسلم لها بالحقوق المترتبة على تلك المساواة كالتعليم والتهذيب على القليل . وثانياً ان المرأة لم تضطر بعد في الشرق الى اتخاذ الكتابة حرفة لها كالرجل لتعيش من شق تلك القصبة كما هي الحال عليهِ

في الغرب حيث الكاتبات كثيرات . ولو اضطرت لرأيت الكاتبات عندنا عشرات ومئات

فالمرأة ترى عاراً على الرجل ان تسبقهُ في هذا المضار ووسائطها اقل من وسائطهِ . وهي تغار عليهِ غيرتهُ على نفسهِ لا سيما وانها اكثر احساساً منهُ والطف عنصراً وارق مزاجاً فلا يطاوعها قلبها الضعيف ان تتطال الى ما لم يسلم لها الرجل بهِ وتجارِ بهُ بسلاحهِ

هذا واني اكتفي بما تقدم راجياً ان يكون بهِ كفاية لحضرة الكاتب ولكلٍ من يلفهُ . والا فاذا عاد عدنا لهُ

نجيب شاهين

الحقيقة

طالعت في العدد الماضي من مجلة المقتطف رسالة لحضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي داغر اثبت فيها آراء بعض الفضلاء في المرأة الشرقية واسباب اغفالها فن الكتابة ناسبين ذلك لقلة استعداد المرأة وانحطاط معارفها حتى انهُ بلغ بهم سوء الظن ان رموها بالسرقة وذلك باستكتاب الرجل وانتحال معانيهِ لنفسها — امور لم يبقَ بعدها حطٌّ لقدر المرأة واستخفاف بمعارفها وآدابها . واني بعد ايفاء حضرة الكاتب حقهُ من الشكر والثناء لبسطهِ موضوع ذلك البحث وتمهيدهِ سبيلاً للكاتبات في الدفاع عما نسب اليهنَّ من الجهل سواء كان قصدهُ الاسفار عن وجه الحقيقة كما ذكر ام انهاض همة السيدات وترغيبهنَّ في الكتابة . اقول ولا غاية لي من الدفاع عن بنات جنسي ولا سيما وانني على ندورتهنَّ اجهل معرفتهنَّ شخصياً ولا اعلم من اقتدارهنَّ العلمي والادبي اكثر مما يعرف حضرة الكاتب واقرانهُ . غير اني اتكلم بما يوحي بهِ اليَّ العقل والاختبار

ان النقطة التي انتهت اليها المرأة الغربية من التوسُّع في المعارف والعلوم واقتباس الفنون على انواعها ثم مقاومتها اعظم الصعوبات في سبيل الحصول على ما لا يزال مهضوماً من حقوقها المدنية لاعظم برهان ليس فقط على مقدرة المرأة على التأليف والتعريب بل على الاتيان باعظم الافعال واكمل الاعمال

بقي هل ان للمرأة الشرقية ما للغربية من الذكاء ووسائط التعليم حتى يمكنها ان تتشبه بجارتها وتأتي باعمالها وعلى ذلك اجيب ان المدارس في الشرق على تأخرها فيها من الدروس اللازمة للفتيات ولا سيما اللغة العربية ما يكفل باحرازهنَّ الفلاح في مجال الاقلام كما يتضح لكل باحث في حالة التعليم واصناف العلوم التي تدرَّس في اكثر المدارس شهرة ولا سيما المدارس الاميركية والانكليزية المنتشرة في انحاء الشرق

اذن فما بال السيدات متقاعدات من ورود منهل الكتابة العذب والارتواء من كوثر فوائده المروي وقد خصهن المبدع بالعقل والذكاء وتسهلت لهن وسائط التعليم والتهذيب فلا بد لذلك من اسباب مهمة تقعد بهمتهن وتجعل الكسل حائلاً دون اجهاد عقولهن في مسابقة الكتّاب في سبك المعاني والافكار على ما في ذلك من الفائدة ولذة الاشتهار . وتمهيدًا لذلك اقول

من المقرر ان المرء لا يقدم على امرٍ ويتحمل ما يصادفهُ في سبيله من المشاق لغير غاية ذاتية وكل ما ازداد الانسان خطوة في المدنية واتسعت دائرة معارفهِ وعظمت اهليتهُ للاعمال المهمة ازداد ضناً بوقتهِ ولم يبالِ بغير اكتساب الارباح مادية او ادبية نابذًا ما سوى ذلك من الامور التي لا تجديهِ نفعاً ولا تأتيهِ بفائدة . وعلى ذلك نرى الشعب الاوربي يزاحم بعضهُ بعضاً في ميدان الاشغال وما منهم من يسمح بضياع لحظة من اوقات عملهِ لمخاطبة زيد او السلام على عمرو ان لم يكن لهُ من وراء ذلك غاية شخصية . فالحياة قصيرة والوقت ثمين وواجبات المرء اكثر من ان تكفي لاتمامها تلك الساعات القليلة

ولما كانت المرأة لا تقلُّ عن الرجل مهماتٍ واعمالاً كان لها من واجباتها المنزلية ما يمنعها عن كل عمل خارجي وعليهِ فقد لبثت حيناً من الزمن مقتصرة على تلك الواجبات وافكارها مقيدة ضمن دائرة جدران المنزل الى ان ساعدها الرجل على كسر ذلك القيد والبروز الى عالم الاجتماع . وما لبث ينشط خطواتها ويسمعها من رنات المديح ويذيقها من ثمار الشهرة ما استسهلت في جانبهِ كل صعب لبلوغ قمة العلاء والوصول الى ذروة الفخار التي ما بدأت للاتجاه اليها حتى شعرت بثقل وطأة واجبات العائلة تحول دون تقدمها . فلم يكن من الرجل الاَّ ان اسرع فمهد لها سبل الارباح المادية ليكون لها منها مساعد على ازاحة الحاجز الذي يعترض في طريق نجاحها فوكلت اشغالها المنزلية لمن هم دونها عقلاً وعلماً ومن لا يمكنهم ان يقوموا باعظم من ذلك ونزعت هي الى ما هو اسمى وارفع من الاعمال الخطيرة التي تعود عليها باللذة والكسب والفائدة

فانّى للمرأة ان تنال بعض ذلك في الشرق وهي ان كانت بحاجة الى الدرهم لا يمكنها ان تجدهُ عن طريق التحرير والانشاء وكان لا بد لها من قضاء جل وقتها في خدمة عائلتها وتدبير منزلها بنفسها وان كانت في سعة من العيش تغنيها عن ذلك وكانت على شيءٍ من العلم يمكنها معهُ ان تباري الكتّاب في خدمة الآداب كان لها من اعراض الناس وقلة تراحيبهم بأقوالها الف عذرٍ يشفع في تأخرها وتثبيط عزائمها

اطل النظر ايها المقترح الفاضل في صفحات الكتب والروايات والجرائد والمجلات كم فيها للسيدات من آثار اقلام تشهد لهنَّ بالمعارف على قرب عهدهنَّ بالعلم وقلة الوسائط الممهدة لهنَّ سبل الفلاح والاقدام

وبعدهُ فانظر اذا كان يوجد اثر واحد او بعض اثر لاحد الكتَّاب يمتدح فيهِ افكارهنَّ وينبه هممهنَّ الى الاستمرار على تلك الخطة اللازمة لنجاحهنَّ وترقيتهنَّ وتقدم البلاد بتقدمهنَّ

بل افدني تكرماً عن صاحب مجلة او جريدة تنازل بان نقل شيئاً من رسائل سيدة الى صفحات مجلتهِ اعجاباً بذكائها وحثًّا لغيرها على الاقتداء بها

بل ارني بحقك اي الجرائد والمجلات ادرجت شيئاً من نفثات الكاتبات او الكتَّاب مع الشكر لمرسليها الذين انما ضحَّوا قسماً من وقتهم على انشاء مبانيها وابتكار معانيها ولا غاية لهم سوى خدمة الانسانية والجريدة

واما ان تجد مقدمة للكتَّاب في اعلى الرسائل يطلب بها الى اصحاب الجرائد ان يتكرموا بنشرها مع الشكر الوافر والثناء العاطر فذلك كثير مما يدل على وهن عزائم الكتاب فضلاً عن الكاتبات وعدم ثقتهم مما اذا كانت رسائلهم ستحوز قبولاً لدى اصحاب المجلات والجرائد

ذلك هو جزاء المقالات التي يجهد بتحريرها جهابذة الكتَّاب وتلك هي الفائدة التي ينالونها في عصر كسدت فيهِ بضاعة العلم وبارت سوق الآداب . فما قولك في الكتب والروايات التي تكلف مؤلفيها او معربيها من الوقت والدرهم ما لا يقوى على بذلهِ غير من كان في سعة من المال وفراغ من الاعمال . ثم يعني بتجليد نسخ منها تجليدًا متقناً ويقدمها هدية الى اصحاب الجرائد والمجلات الذين هم مصابيح الامة ولسان حال البلاد ومن عليهم يتوقف رواج المؤلفات والمصنوعات فيقابلونهم على ذلك التعب الكثير والسهر الطويل بقولهم (اهدى الينا فلان او فلانة كتاباً موضوعهُ كذا ونتمنى لهُ الرواج) ثم يطمس خبرهُ بعد قليل من الزمن ويكون جزاء كاتبهِ القسم الاوفر من النسخ المطبوعة يتلذذ بالنظر اليها ويتحسر على ضياع الوقت والدرهم في سبيل انشائها

أَفتلام المرأة بعد ذلك اذا اغفلت الانشاء والتحرير وصرفت همها عن صناعة اضحى يشكو كسادها العالم الخطير ويرزح تحت اثقال بوارها الكاتب النحرير . بل لعمري ان لها الفضل العظيم بما تأتيهِ من وقت الى آخر من نفثات اقلامها فما القليل الذي نراهُ سوى ميل طبيعي يدفعها الى التلذذ بكتابة بعض اسطر في اويقات الفراغ رغماً عما يعترض سبيل تقدمها من الصعوبات والمشقات التي لولاها لكان اقبالها على الكتابة ايما اقبال فان فيها لذة لها وراحة

لا تجدها في ما سواها من الاعمال . والشاهد على ذلك ان عدد الفتيات المتعلمات قد كثر في هذه الايام كما يتضح من تقاويم المدارس وكما هو ظاهر للعيان واكثرهنَّ في احتياج مادي الى الانتفاع بما تعلمنهُ وانفقنَ اثمن سني العمر في سبيل الحصول عليهِ وقد لجأ اكثرهنَّ الى التدريس على ما في ذلك من المشقة ومرارة الاسر . ومن كانت منهنَّ غير قادرة على مبارحة منزلها لاسباب بيتية او علاقات عائلية اذعنت للعطلة واستسلمت لعوامل الفاقة والسأم

فاذا تسهلت لمثل هؤلاء وسائل الكسب وهنَّ داخل منازلهنَّ ولم يكن شيء يقف في سبيل حريتهنَّ ولا تقوى اوامر الرؤساء على تقييد افكارهنَّ واستعباد عقولهنَّ فهل يعقل ان يرفضنَ مثل هذه النعمة ويرضينَ من الغنيمة بسجن المدرسة وقلَّة اجرتها

واذا كان بين المتحاملين على المرأة من يرتاب بحقيقة ذلك فما عملية الا ان يصدر جريدة ويعين عشرة فرنكات فقط عن كل صفحة من مقالة تخطها يد سيدة وانا الضمينة بان يرد عليهِ من درر اقوالهنَّ ووشي اقلامهنَّ ما يدحض قول المفترين وينفي اعتقاد المتهمين . وحينئذٍ يعلم حضرة الكاتب واصدقاؤهُ ان الانامل التي يدميها لمس الحرير لنعومتها لهي الين وانسب " لا هتصار اليراع واجتذاب القلم " وان " استيفاء شروط التمدن الحديث " لا تحول دون تقدم المرأة الغربية الى ذروة العلا والفخار في عصر اشتهر بالتمدن والحضارة ووفرة الازياء

(مدام) لبيبة هاشم

اظهار حقيقة

نشر المقتطف رسالة لحضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي داغر اعربت عما يتقولهُ بعض الادباء في الاسباب التي دعت الى قلة ما ينشر في المجلات والجرائد باقلام النساء. وقد تصحُّ الاسباب التي ذكروها ولكن حضرة الكاتب اغفل السبب الذي اظنهُ اكبر الاسباب لتوقف النهضة الادبية التي نهضتها النساء منذ عشرين عاماً وعدم مجاراتها نهضة الرجال فاتيت ابينهُ لعلي انفي الظنون والشبهات فاقول

الكتابة مثل غيرها من الفنون الجميلة يبتدئ فيها المرء عن رغبة في النفس ويواظب عليها اما متكسباً واما " غاوياً " (وكلمة غاوي اصطلاح مصري وهي تقابل كلمة اماتور Amateur باللغة الفرنسوية ولا اعرف لها كلمة اخرى عربية) ومن هذا القبيل التصوير والنقش والموسيقى

ولما ابتدأت النهضة العلمية في بيروت بين السبعين والثمانين بعد الالف والثمانمئة وظهر الجنان والجنة والطبيب والمقتطف والتقدُّم ولسان الحال وما اشبه من المجلات والجرائد

واتمَّ كثيرون من الفتيان والفتيات الدروس في المدرسة الوطنية والكلية والبطريركية ومدرسة البنات الانكليزية والاميركية اقبل كثيرون من المتعلمين والمتعلمات على الكتابة والترجمة وجمهورهم من الغواة (الامانور) لا من المتكسبين ولو حاولوا التكسُّب كلهم او اكثرهم بالكتابة لرجعوا بخفي حنين لان بضاعتهم لا تروج الاَّ اذا كثر طلاَّبها والطلاَّب كانوا قلالاً جدًّا ولا يزالون قلالاً فكان الدافع الى الكتابة حميَّة عامَّة لا تشوبها رغبة التكسُّب ولا باب للتكسُّب فيها

ومنذ نحو عشرين سنة اخذت هذه الحمية العلمية تضعف في سورية بما حدث فيها من المراقبة الشديدة على المطبوعات حتى لقد بلغني قبيل كتابة هذه السطور ان كتابًا في علم الحساب أُرسل من بيروت الى ادارة المطبوعات في الاستانة فحذفوا منهُ كثيرًا من الكلمات التي لا بدَّ منها في الحساب مثل كلمة الضرب وكل مشتقات ضرب فاضطرَّ صاحبهُ ان يعدل عن طبعهِ . والَّفت احدى السيدات رواية ادبيَّة ورفعت نسخة منها الى الاستانة قصد الاجازة فوُضعت تلك السيدة تحت المراقبة . فكيف يغوى الناس الانشاء والتضييق على الاقلام بالغ هذا الحد

وانتقل جمهور الكتَّاب الي القطر المصري بسبب هذا التضييق وانشأُوا فيهِ الجرائد والمجلات لكنهم اضطروا ان يحترفوا معها حرفًا أُخرى لتقوم بمعيشتهم كانشاء المطابع والاتجار بالكتب ونحو ذلك من الاعمال التي لا يسهل على النساء ان يتعاطينها في بلاد المشرق . وحاول بعض النساء انشاء المجلات مثلهم فلم يفلحنَ لا لقصر باعهنَّ بل لان عدد القراء قليل جدًّا فلا يقوم ما يدفعونهُ بنفقات مجلات كثيرة

ثم ان المتعلمات في القطر المصري قليلات جدًّا اذا قوبلنَ بسكانهِ واكثرهنَّ من الاوربيات او السوريات الآخذات اخذ الاوربيات ويفضلنَ المطالعة والكتابة بلغة اوربية على المطالعة والكتابة في العربية حتي ان بعضهنَّ ينظمنَ الشعر الحسن باللغات الاوربية . وقلَّ ان نرى بين كتب الادب العربية ما يحسن اطلاع البنات عليهِ وملكة الكتابة الصحيحة بالعربية اصعب منالاً من ملكة الكتابة الصحيحة بلغة اوربية لاسباب كثيرة لا تخفى على الذين درسوها ودرسوا لغة اجنبية وذلك كلهُ مما يقلّل عدد الكاتبات بالعربيَّة

هذه اقوى الاسباب التي منعت النساء عن مجاراة الرجال في النهضة العلمية التي شاركنهم فيها منذ عشرين سنة او ثلاثين . وفوق كل ذي علم عليم

احدى قارئات المقتطف

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

جني لِند

يطرب جمهور الناس بالغناء ويسرُّ بالتمثيل الى حد يفوق الوصف وقد جعل اسلافنا الغناء قسماً من العبادة فعدُّوهُ من اشرف اعمال الانسان التي يتقرب بها الى خالقهِ ولا نزال نجري على خطتهم في معابدنا ولو تنوعت طرق التسبيح والتلحين . ومع ذلك كلهِ لا يزال مقام الغناء منحطًّا جداً في بلدان المشرق ولا سيما اذا كان في محفل حافل كمشاهد التمثيل حتى لقد تردَّدنا كثيراً قبل ذكر هذه السيدة بين شهيرات النساء ولم نذكرها الاَّ لاننا رأينا مبراتها شفعت بها

ولدت في ستكهلم عاصمة اسوج سنة ١٨٢١ وكان الغناء من طبعها فكانت وهي فتاة تغني كل ما تسمعهُ من الاغاني بصوت رخيم ولما رأى والداها منها ذلك وضعاها عند اشهر معلمي الغناء في تلك المدينة وعمرها تسع سنوات وصارت تغني في المشاهد العمومية حيث يقتضي التمثيل صوت الصغار لكن صوتها ضعف حالاً وفقد قوتهُ فابطلت الغناء وعكفت على آلات الطرب ثم عاد صوتها الى قوتهِ ورونقهِ فصارت تغني في المشاهد الكبيرة في اسوج ونروج وباريس وبرلين وفينَّا وغنَّت امام الملكة فكتوريا ملكة الانكليز لما زارت برلين . ثم اتت الى لندن وسحرت الناس بصوتها حتى لم يعد لهم حديث الاَّ بهِ

ومضت الى اميركا وغنَّت في نيويورك فصارت اوراق الدخول الى المشهد الذي تغني فيهِ تباع بالمزاد العلني وبلغ ثمن الورقة مئات من الريالات . غنَّت مئة ليلة بلغ نصيبها من دخلها ستين الف جنيه . واقترنت وهي هناك برجل اسمهُ اوتو غولدشمت من مهرة الضاربين على البيانو وعادت معهُ الى اوربا واستوطنت البلاد الانكليزية ولم تعد تغني في المشاهد الا قليلاً . وانفقت المال الكثير الذي كسبتهُ بصوتها على الاعمال الخيرية كبناء المستشفيات والانفاق على تعليم التلامذة وجُعلت استاذة للغناء في مدرسة الموسيقى الملكية من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٨٦ وبقي صوتها على جودتهِ ورخامتهِ حتى ادركتها الوفاة سنة ١٨٨٧

ترياق السموم

(١) اذا احترق احد من استعمال الحامض الفنيك او الكبريتيك (زيت الزاج) او المورياتيك (روح الملح) او النيتريك (ماء الفضة) او النيترومورياتيك (ماء الذهب) او الكريوسوت او صبغة اليود او الحامض الفصفوروس يعالج الحرق بزلال البيض مخبوطاً بالماء او بملعقة صغيرة من الخردل في كوبة من الماء الفاتر. واذا شرب احد شيئاً من الحامض الكبريتيك او النيتريك او المورياتيك يسقى الجير ممزوجاً بقليل من الماء

(٢) واذا سمَّ احد بالحامض الكروميك او باملاح النحاس او الانتيمون كالانتيمون المقيء ومركبات الزيبق والزنك فعالجهُ بزلال البيض بكثرة ويحسن ان تجعلهُ يتقيأ بواسطة الخردل الاَّ اذا كان السم من الطرطير المقيء

(٣) واذا سمَّ بالامونيا او الصودا او البوتاسا او بالسلكات او الهيدرومنغنات القلوي فعالجهُ بالخل ثم بالزيت او اللبن

(٤) واذا سمَّ بسيانيد البوتاسيوم والزيبق او باللوز المر او بالنيتروبنزين فصبَّ الماء البارد على رأسهِ وسلسلة ظهرهِ وضع خردليات على اخمص قدميهِ وبطنهِ ولا تدعهُ ينام

(٥) واذا سمَّ بالايثر او البتروليوم او البنزول او الالكحول المركَّز فاعطهِ مقيئاً من الخردل مع كثير من الماء الفاتر واغسلهُ بماء بارد في الهواء المطلق ولا تدعهُ ينام

(٦) واذا سمَّ بمركبات الباريتا او الرصاص فاستعمل لهُ الخردل مقيئاً مع الماء الفاتر والملح الانكليزي او ملح الطرطير مع الماء

(٧) واذا سمَّ بالزرنيخ ومركباتهِ فاستعمل لهُ الخردل والحديد المرسب بالديالسس مع المغنيسيا ثم الزيت واللبن والاشربة الغروية

(٨) واذا سمّ بالحامض الاكساليك واملاحهِ فاستعمل لهُ الجير او ماء الجير ثم زيت الخروع

(٩) واذا سمّ بنيترات الفضة فاستعمل لهُ ملح الطعام مذاباً في الماء . والخردل مقيئاً

(١٠) واذا سم بابخرة الحامض النيتروس فاسقهِ خلاً حاذقاً بمقادير قليلة

وقد جمع الدكتور فرنسيس ويات النصائح التالية في علاج السموم البيتي قال : اذا تناول احد مادَّة سامة فاستدعِ لهُ الطبيب حالاً ولكن لا تضع الفرصة الى ان يحضر بل استعمل الوسيلة اللازمة من الوسائل التالية وهي

اولاً الترياق المتعدد — اذب كبريتات الحديد (الزاج الاخضر) في الماء حتى يتشبَّع منهُ وخذ مئة جزء من المذوَّب واضف اليها ٨٠٠ جزء من الماء و٨٨ جزءًا من المغنيسيا و٤٤ جزءًا من الفحم الحيواني . وهذا الترياق يعطى في التسمُّم بالزرنيخ والزنك والافيون والدجيتال والزيبق والاستركنين ولا يفيد في التسمم بالفصفور او الانتيمون او القلويات الكاوية

ثانياً المغنيسيا المكلسة وهي تفيد في التسمم بالحوامض

ثالثاً التربنتينا الفرنسوي وهو يفيد في التسمم بالفصفور

رابعاً الايبكاك المسحوق وهو يستعمل مقيئاً وجرعتهُ ٣٠ قمحة او كبريتات الزنك وجرعتهُ من ٢٥ الى ٣٠ قمحة

خامساً الخردل وهو مقيءٌ

ارشادات عامة : استعمل اولاً مقيئاً واتبعهُ بالترياق المتعدد المتقدم ذكرهُ واذا كان السم فصفوراً فاعطِ المسموم التربنتينا الفرنسوي ٢/١ جرام كل نصف ساعة واذا كان حامضاً من الحوامض فاعطهِ المغنيسيا المكلَّسة واذا كان قلويًّا من القلويات فاعطهِ الخل . واحفظ القيء اذا ظننت السمّ جنائيًّا لاجل تحليلهِ كيماويًّا

تنظيف كفوف الجلد

من المركبات المستعملة لتنظيف كفوف الجلد سواءٌ كانت من جلد الجداء او غيرهِ مركَّب اسمهُ غنتين وهو يصنع من جزءٍ من الصابون وثلاثة اجزاء من الماء يذاب الصابون في الماء على النار ويضاف اليهِ جزءٌ من روح قشر الليمون ثم تغسل الكفوف بهِ . وافضل منهُ ان توضع الكفوف في اناء كبير فيهِ بنزين نقي ويسدُّ سدًّا محكماً وتهزُّ

فيهِ مراراً وتتركُ ثم تهزّ واذا بقي عليها شيءٌ من اللطخ تمزح بخرقة مبلولة بالايثر او البترول. وانشر الكفوف في الهواء ثم ابسطها بين لوحين من الزجاج وعرّضها لحرارة كحرارة الماء الغالي حتى تزول منها كل رائحة البنزين . وتوضع بعد ذلك بين ورقتين ويضغط عليها بالمكواة

من الطرق المشهورة لتنظيف الكفوف ان تذيب الصابون في اللبن السخن وتمزج زلال بيضة بكل رطل من المذوَّب مزجاً جيداً وتلبس الكفوف وتفركها بهذا المزيج ويحسن ان تضيف اليهِ قليلاً من الايثر . والكفوف البيضاء تبقى على بياضها بهذا المزيج

ومنها الطريقة الفرنسوية وهي ان تلبس الكفوف بيديك وتفركها بروح التربنتينا كانك تفرك يديك بالماء والصابون ومتى نظفت علقها في الهواء حتى تجف وتزول منها رائحة التربنتينا

طبخ الديك الرومي

يترك الديك الرومي يوماً كاملاً من غير اكل قبل ذبحهِ ويربط برجليهِ ويعلَّق بهما ويربط جناحاهُ وراء ظهرهِ ويذبح بسكين ماضية جداً ويترك كذلك حتى يخرج كل دمهِ لانهُ اذا بقي فيهِ شيءٌ من الدم تلوَّن بهِ لحمهُ ثم يوضع في الماء الغالي مدة قصيرة حتى يسهل نتف ريشهِ واذا طالت مدة وضعهِ في الماء الغالي صار نتف ريشهِ صعباً . ثم ضعهُ على مائدة ورأسهُ الى جهتك وانتف ريشهُ في جهة نموهِ لا في الجهة المضادَّة لئلاَّ ينسلخ الجلد معهُ . وانزع الريش الغائر في الجلد بسكين او بملقط حتى ينظف جلدهُ جيداً ثم شوّطهُ قليلاً على لهب ورق مشتعل او لهب السبيرتو وغطسهُ مرتين او ثلاثاً في ماء غالٍ وفي ماء بارد على التوالي وانت ممسكاً اياهُ برجليهِ . وضعهُ على لوح حتى يتصفى الماء منهُ واقطع رجليهِ بسكين ماضٍ من تحت الركبتين لا من فوقها لئلاَّ تتقلَّص عضلات الساقين. وانزع كيس الشحم من فوق ذنبهِ والحوصلة من اسفل عنقهِ بشق دقيق تشقهُ فيهِ

ثم اقطع عظم العنق وشق البطن اذا اردت ان تحشوهُ واستخرج امعاءهُ محترساً لئلاَّ تشق المرارة وموقعها عند اعلى عظم الصدر ملتصقة بالكبد . وانزع القانصة ومعها

كل المصارين وشق القانصة وانزع بطانتها وما فيها وارم القانصة والقلب والكبد في الماء واغسلها جيداً واغسل الديك كلهُ بالماء البارد وعلقهُ حتى يتصفَّى الماء منهُ وضع خرقة سميكة على صدرهِ ودقهُ حتى يظهر سميناً ولكن احترس لئلا تمزق جلدهُ

واحش صدرهُ اولاً ولكن لا تملأهُ لئلا ينشق حينما تتمدَّد الحشوة فيهِ ثم املأ بطنهُ بالحشوة وخطهُ بعد حشوهِ ولا بد من ان تنزع الخيط منهُ قبل وضعهِ على المائدة والصق جناحيهِ بخناصرتيهِ بدبوس طويل من الخشب يصنع لذلك واجعل ساقيهُ يلصقان ببطنهِ بدبوس آخر وشك دبوساً ثالثاً في ذنبهِ واربط طرفي ساقيهِ بهِ وافركهُ بالملح والبهار جيداً وضع نتفاً من الزبدة على صدرهِ وضعهُ في فرن شديد الحمو ثم قلل حموَّهُ رويداً رويداً حتى ينضج الديك فيهِ واذا كان ثقلهُ اقتين وجب ان يبقى في الفرن ساعتين وثلث ساعة اي ثلث ساعة لكل رطل (ليبرة) من وزنهِ وثلث ساعة اخرى فوق المدة كلها ويعلم انهُ نضج من انك اذا غرزت فرتيكة بين فخذهِ وجسمهِ خرج منهُ سائل ابيض مائي لادموي

ثم اسلق احشاءهُ القلب والكبد والزنقلة وافرمها فرماً دقيقاً وامزجها بالماء الذي سلقتها بهِ واضف اليها دقيقاً ولبناً او ماءً وما يكفي من الملح والبهار وضعها على النار حتى ينضج الدقيق وهي تضاف الى الحشوة التي يحشى بها اما الحشوة فتختلف باختلاف الاذواق فالبعض يفضلون الارز واللحم والبعض يمزجونهما باللوز والبعض بالصنوبر والبعض بالجوز والبعض بالزبيب والبعض يفضلون فتات الخبز والبيض والزبدة والبعض يضيفون اليها شيئاً من البقول او الفطر او المحار ورُبما اوضحتُ ذلك في فرصة اخرى

ربة بيت

آداب السيدات

عند الاوربيين قواعد تجري نساؤُهم عليها في معاشراتهم ومخالطاتهم يحسبنها من آداب السلوك لا بدَّ لنسائنا اللواتي يعاشرنهنَّ من ان يعرفنها حتى يعرفن مدلولها او حتى يجارينهنَّ فيها وسنلخص الفوائد التالية من كتاب انكليزي في هذا الموضوع

السيدات في الطريق

(١) اذا مشت ثلاث سيدات معاً وجب ان تمشي واحدة منهنَّ امام رفيقتيها حتى لا تمشي الثلاث في صف واحد فتضيق بهنَّ الطريق

(٢) اذا التقيتِ بسيدة في الطريق وانتِ لا تعرفينها الاَّ قليلاً وهي ارفع منك مقاماً فلا تبادري الى التسليم عليها لئلا يحسب ذلك منكِ ترفُّعاً الى مقامها بل دعيها تلتفت اليكِ وتحييكِ اولاً او تظهر ميلها لتحيتكِ بالتبسم لكِ

(٣) اذا تعرفتِ بسيدة في سياحة فليس من الضرورة ان يكون هذا التعرُّف صداقة دائمة ويكفي ان تحني لها رأسك اذا التقيتِ بها في الطريق . ولا نصح المزاورة بينكما الاَّ اذا اتفقتما على ذلك وانتما في السفر وحينئذٍ فالسيدة الاكبر سناً او الاعلى مقاماً تزور الاخرى اولاً والمتزوجة تزور العزباء اولاً

(٤) اذا لقيتِ امرأة لكِ عادة ان تستخدميها لخياطة ثيابكِ او لنحو ذلك فآداب السلوك تقضي عليكِ ان تحييها اولاً لا ان تحييك هي اولاً لئلاَّ يحسب ذلك تطفلاً منها عليكِ

(٥) اذا لقيتِ رجلاً في الطريق وكنتِ لا تأنفين من حسبانهِ بين اصدقائك فحييهِ باحناء رأسكِ لهُ اما هو فلا يحق لهُ ان يبادئك بالتحية

(٦) اذا مشيتِ مع رجلين تعرفينهما فاجعلي اكثر حديثك مع اقلهما معرفةً لان اقرب الاصدقاء يجب ان يكون اكثرهما عذراً

(٧) اذا وقفتِ في الطريق تكلمين سيدة اخرى فقفي على جانب لكي لا تسد طريق المارَّة او امشي معها ولو اضطررت ان ترجعي في طريقكِ ولا تقفي في وسط الطريق تكلمين احداً ولا ترفعي صوتكِ وانت تتكلمين في الطريق

(٨) اذا لقيتِ في طريقكِ بركة ماء او وحلاً او نحو ذلك وعسر عليكِ المرور ودنا منكِ غريب ومدَّ لكِ يدهُ ليساعدكِ في عبورها فلا تترددي في اعطائهِ يدكِ لان ليس لهُ غرض من ذلك الاَّ مساعدتكِ للتخلص من تلك الورطة فاقبلي مساعدتهُ بالشكر

السيدات في السوق

(١) اذا مررتِ في السوق لتري البضائع قبلما تصممي نيتكِ على ابتياع شيء منها فاخبري اصحابها بذلك صريحاً فكلٌّ منهم يريك كل ما تريدين ان تريهِ عن طيب نفس راجياً ان تعودي الى دكانهِ وتشتري منهُ . واذا اتعبتِهِ كثيراً بمشاهدة البضائع التي عندهُ فاشتري منهُ ولو شيئاً قليلاً مما لا تستغنين عنهُ تعويضاً لهُ عن التعب الذي تعبهُ

(٢) اذا اعجبتكِ بضاعة وعلمتِ ان الثمن الذي طلبهُ صاحبها هو ثمنها الحقيقي فاتركي المساومة لانكِ مهما اكثرتِ منها لا تحملين صاحبها على الخسارة

(٣) لا تنزلي الى السوق مع رفيقة تحب المساومة الكثيرة اذا أردتِ الراحة لانها تضيع النهار كلهُ حتى توفر غرشاً

(٤) الغالي رخص والرخيص غالٍ . هذا هو الحكم الغالب فاذا اردتِ البضاعة الجيدة التي تقيم زماناً طويلاً على رونقها وجب عليك ان لا تكاسري صاحبها والدكاكين التي تبيع البضائع الرخيصة جداً قلما يوجد فيها بضاعة جيدة تساوي ثمنها

(٥) اذا زرتِ مدينة لا تعرفينها فاسألي اولاً عن المخازن التي تباع فيها اجود البضائع واكتبي اسماءها. وقلما يشتهر بائع بجودة بضائعهِ وحسن ذمتهِ الاَّ و بضائعهُ جيدة وكلامهُ صادق

(٦) اذا نزلت الى السوق لتشتري بضاعة فلا تكلفي الرجال لينزلوا معكِ لان صبرهم قليل فيظهر عليهم الملل حالاً وفي ذلك تعب لهم ولك

(٧) اذا رأيت سيدة لابسة ثياباً اعجبتكِ وتودين ان تصنعي مثلها فلا بأس بسؤالها عنها وعن ثمنها وكل ما يتعلق بها والاَّ فليس من آداب السلوك ان تسأليها . وهي غير مضطرة الى اجابة سؤالك وكذلك اذا سُئلتِ انتِ سؤالاً مثل هذا فلست مضطرة ان تجيبي

(٨) اذا لقيت صديقة في مخزن فليس من اللياقة ان تقفي وتكليمها طويلاً فتضيعي وقتها ووقت الناس الذين تقفين في طريقهم

صحة الامهات

تمهيد

يقضي نظام الكون على المرأة ان تصير زوجة واماً ومرضعةً ومربية وعليها في كلٍ من ذلك واجبات لم تقللها الحضارة بل زادتها مشقةً ألا ترى ان المرأة الراتبة في مهد الحضارة تجد من المشقة في ولادة الاولاد ما لا تجدهُ البدوية او الفلاحة العائشة بالتعب والمشقة . وبينما تجد البدوية تلد وهي سائرة على الطريق وتحمل طفلها وتظلُّ سائرة تجد نساء المدن يقمنَ في فراشهنَّ ثلاثين يوماً او اربعين بعد الولادة واذا قمن قبلها لحقهنَّ ضرر كثير . ولا مطمع لنساء المدن ان يصرن مثل البدويات من هذا القبيل لانهنَّ ورثنَ ضعف البنية عن امهاتهنَّ ولكنهنَّ اذا اكثرنَ من الرياضة واستنشاق الهواء النقي وهنَّ حوامل سهلت ولادتهنَّ كثيراً وقلَّت نتائجها المضرَّة ولو قمنَ من الفراش بعد ايام قليلة . وليس من الحكمة ان يقلدنَ البدويات

في سرعة القيام من الفراش ولا في قلة الاعتناء بالاطفال لان اللواتي لا يضرهنَّ النفاس من البدويات والذين يعيشون من اطفالهم قليل كما يظهر من قلة نمو الناس في البلدان التي لا يعتني نساؤُها بانفسهنَّ وباطفالهنَّ . ولكن الحكمة كل الحكمة في تقوية ابدانهنَّ حتى تجود صحتها وصحة اطفالهنَّ

تدبير الحامل

حالما تشعر المرأة انها حامل يجب ان تعتني بنفسها اعتناء خاصًّا ان لم تكن معتادة الاعتناء بها حفظًا لصحتها ولصحة طفلها لانهُ يغتذي من دمها فبقوتها قوتهُ وبضعفها ضعفهُ . واعتناؤُها بنفسها يؤَثر بهِ في الشهور الاولى من الحمل كما يؤَثر بهِ في الشهور الاخيرة وبعد الولادة

يظن بعض النساء ان الحياة لا تبتدئ في الجنين قبلما يصير يتحرَّك في بطن امهِ وهذا خطأٌ بل هو يكون حيًّا من اول تصورهِ ومن حين كان بيضة صغيرة. وقوتها وضعفها يؤَثران فيهِ من حين تكون فتاة صغيرة بل يؤَثر فيهِ كل ما اثر في والديهِ ووالديهما من قبلهما . الا ان موضوعنا قاصر على التأثير القريب اي ما يؤَثر في الطفل من ابتداء الحمل الى ان يولد والكلام في ذلك يتناول ثلاثة امور وهي غذاء الجنين وصحتهُ والمكان الكافي لنموهِ وسنبسط الكلام على ذلك في الاجزاء التالية

باب التقريظ والانتقاد

تفسير الفاتحة

اذا تصفحت فهرست مكتبة كبيرة من المكاتب العربية وجدت اكثر ما فيها من كتب التفسير ففي كشف الظنون خمس عشرة صفحة كبيرة ملأَتها اسماء هذه الكتب وفي فهرست المكتبة الخديوية صفحات كثيرة لها وقس على ذلك غيرهما من الفهارس .وسيبقى باب التفسير مفتوحًا مادامت عناية الامة الاسلامية بكتابها وما دام علماؤُها يطرقون سبلاً جديدة للبحث والتنقيب . ولقد علم القاصي والداني ما للاستاذ المحقق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية لهذا العهد من العناية ببث المعارف الدينيَّة والحقائق العلميَّة وقد انشأ يفسر القرآن في الجامع الازهر في مجالس يحضرها العلماء والطلاب وكثير من الوجهاء ورجال الحكومة . قال صاحب المنار

الاغر ان اهل الفضل اجمعوا على ان هذا التفسير هو الذي ينفخ روح الحياة الملية في المسلمين وانهُ يجب نشرهُ في جميع الاقطار وان كثيرين من اهل القطر المصري وغيرهِ رغبوا اليهِ ان ينشر في المنار خلاصة ما يقررهُ الاستاذ في الدرس فكتب خلاصة التفسير ونشرها متتابعة بعد عرضها على المفسر واجازتها من لدنهُ . ثم جُمع تفسير الفاتحة وعُرض عليهِ وطُبع في كتاب على حدة التزمَ طبعهُ حضرة الشيخ احمد عمر المحمصاني الازهري بعد ان أُضيفت اليهِ ثلاث مقالات تفسيرية لحضرة الاستاذ ومقالة رابعة لحضرة صاحب المنار

وقد نقلنا الفقرة التالية عن هذا الكتاب المستطاب دلالة على ما فيهِ من البلاغة وحسن البيان . قال المفسر في قولهِ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمتَ عليهم

" وههنا سؤال وهو كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا وعندنا احكام وارشادات لم تكن عندهم و بذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم وأصلح لزماننا وما بعدهُ ؟ والقرآن يبين لنا الجواب وهو انهُ يصرح بان دين الله في جميع الامم واحد وانما تختلف الاحكام بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان واما الاصول فلا خلاف فيها . قال تعالى " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم " الآية وقال تعالى " إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعدهِ " الآية . فالاعتقاد بالله وبالنبوة و بترك الشرّ وبعمل البرّ والتخلق بالاخلاق الفاضلة مستوٍ في الجميع وقد أمرنا الله بالنظر فيما كانوا عليهِ والاعتبار بما صاروا اليهِ فنقتدي بهم في القيام على أصول الخير "

وقسم الضالين في قولهِ ولا الضالين الى اربعة اقسام (الاول) الذين لم تبلغهم الدعوة الى الرسالة او بلغتهم على وجه لا يسوق الى النظر وقال ان امرهم في الآخرة انهم لن يساووا المهتدين في منازلهم وقد يعفو الله عنهم . (والثاني) من بلغتهُ الدعوة على وجه يبعث على النظر فساق همتهُ اليهِ واستفرغ جهدهُ فيهِ ولكن لم يوفق الى الاعتقاد بما دعي اليهِ وانقضى عمرهُ وهو في الطلب . ولا ريب ان مؤاخذتهُ اخف من مؤاخذة الجاحد الذي استعصى على الدليل . (والثالث) من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها بدون نظر في ادلتها ولا وقوف على اصولها فاتبعوا اهواءهم في فهم ما جاءت بهِ في اصول العقائد وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين ومنهم المبتدعون في دين الاسلام. واطال في وصفهم . (والرابع) اهل الضلال في الاعمال المحرفون للاحكام عما وضعت لهُ . ثم قال ان النوع الاول والثالث والرابع " يظهر اثرها في الامم فتختل قوى الادراك فيها وتفسد الاخلاق وتضطرب الاعمال ويحل بها الشقاء عقوبة من الله ... ويُعَدُّ حلول الضعف ونزول البلاء بامة من الامم من العلامات والدلائل على غضب الله تعالى

عليها لما احدثتهُ في عقائدها واعمالها مما يخالف سنتهُ... لهذا علمنا الله تعالى كيف ننظر في احوال من سبقنا ومن بقيت آثارهم بين ايدينا من الامم لنعتبر ونميز بين ما بهِ تسعد الاقوام وما بهِ تشقى" انتهى

تلونا اقوال الاستاذ التي ذكرنا خلاصتها هنا وقد تجلَّى لنا منها امران جديران بالنظر امران لو قال بهما ايمة المسلمين وايمة كل الاديان وعملوا على مقتضاها لعادت الى الارض الاخوَّة التي ازالها منها اهل الديانات. الاول "ان دين الله في جميع الامم واحد" ويقتضي العقل والعدل ان يكون الله قد ساوى بين مخلوقاتهِ فاوحى دينهُ اليهم كلهم على السواء. والثاني ان الهدى والضلال يقاسان بالسعادة والشقاء فالامة التي نرى السعادة حليفة لها مهتدية والامة التي نرى الشقاء حليفاً لها ضالة اي ان اصول الهدى والسعادة موجودة عند كل الامم ولا فرق بينهم الاَّ في التوفر على اتباعها او في الضلال عنها. فعسى ان يتمكن حضرة الاستاذ الفاضل من نشر هذين الامرين في كل الديار الشرقية واقناع الناس بهما فيكون لهُ في اصلاحهم شأن يعلو على كل شان لان بهما الدعوة الى الجامعة الانسانية

اشهر مشاهير الاسلام

الجزء الاول

قال كارليل الفيلسوف الانكليزي "ان تاريخ العظام هو تاريخ العالم". واذا لم يصدق هذا القول على امة من الامم فهو يصدق على الامة العربية والملة الاسلامية لان كل ما هو محفوظ من تاريخها وارد في تاريخ مشاهيرها اما احوالها الاجتماعية والمعاشية فقلما يُعرف عنها شيء يذكر حتى اننا نعرف الآن من احوال المصريين الاقدمين الذين عاشوا منذ اربعة آلاف سنة اكثر مما نعرف من احوال الامة العظيمة التي فتحت معظم المعمور في اقل من قرنين ولذلك نرحّب بكل كتاب تاريخي جديد نرجّي ان نرى فيهِ اموراً لم نرها في كتب التاريخ المتداولة. وحالما وقع نظرنا على كتاب "اشهر مشاهير الاسلام" واسم مؤلفهِ العالم المحقق رفيق بك العظم تجلَّت امامنا العقبات الكثيرة التي يجدها المؤرخ العصري في اكتشاف الحقائق التاريخية بين اساطير نقلت عن السن الرواة ولم تودع متون القرطاس الاَّ بعد ان مرَّ عليها اعوام كثيرة وهو يرى الامر بعينيهِ او يسمع خبرهُ باذنيهِ فاذا لم يودعهُ القرطاس حالاً ضاع منهُ كلهُ او اكثرهُ. واذا قصَّ خبراً على زيد وقصهُ زيد على عمرو وعمرٌو على بكر وبكر على خالد ثم سمعهُ من خالد وجدهُ مختلفاً عن الخبر الاول لفظاً ومعنىً فما قولك باخبار

تتداول مئة عام او اكثر . ومَن من ابناء هذا القطر يستطيع ان يروي لنا اخبار الثورة العرابية مثلاً ولم يمضِ عليها الآن عشرون عاماً . فقد سمعنا اخبارها من الذين شاهدوها وكان لهم ضلع فيها فلم نكد نجد اثنين يتفقان في الاصول فضلاً عن الفروع وحتى الآن لا يعرف السبب الحقيقي لهذه الثورة فكيف يطمع احد ان يجد تاريخاً صحيحاً للعرب ولقيام الدولة الاسلامية الاولى واول تاريخ كُتب لها كُتب بعد الهجرة باكثر من مئة سنة واقدم تاريخ بقي الى الآن في ما نعلم كتاب المغازي والسير لابن اسحق الطلبي الفهُ في اواسط المئة الثانية بعد الهجرة

وغنيٌّ عن البيان ان قيام العرب اما ان يكون قد جرى مجرى حوادث الكون وخضع للسنن الطبيعية التي سنَّها الله لنوع الانسان او يكون كلهُ خوارق في خوارق فان كان الثاني فلا محل للبحث والتحقيق والتمحيص والتدقيق بل كل ماروي عن لسان السلف يحتمل وقوعهُ لان ليس للخوارق من قانون طبيعي تجري عليهِ حتى لو رووا ان الرجل كان يردي الفاً بضربة واحدة ما وجد معتقد صحة الخوارق الى الانكار سبيلاً . وان كان الثاني حقَّ لنا ان ننتظر تولُّد اخبار موضوعة ومبالغات بعيدة عن الحقائق حول كل جرثومة من الحوادث الصحيحة وان نبحث عن علاقة الروم والفرس بالعرب وعما اذا كان العرب عاونوا الفرس على الروم وعاونوا الروم على الفرس وتعلموا قيادة الجيوش منهم ثم ثاروا على الامتين وانضووا تحت لواء النبي العربي الذي تجمعهم بهِ جامعة اللغة والنسب وانقسمت ولايات الروم بعضها على بعض بسبب الاختلاف الدبني بين الملكيين واليعاقبة فانحاز فريق منهم الى العرب الموحدين وحاربوا تحت لوائهم . هذه وامثالها امور رجونا ان نرى لها شروحاً مستفيضة في هذا الكتاب لنفيها او لاثباتها لا ان نراهُ منسوجاً على منوال كتاب السيوطي في تاريخ الخلفاء . لكن الكتاب ليس خالياً من مثل هذه الشروح بل فيهِ كثير منها كقولهِ في الصفحة ٧٢ " وقد اتفق ابن الاثير والبلاذري على حصول وقائع للمسلمين مع الروم قبل وقعة اليرموك وهي وقعة بصرى في حوران وداثن في فلسطين ومرج الصفر وغيرها . والظاهر من هذه الروايات ان الروم في ابتداء الامر لم يحفلوا بامر المسلمين ولم يظنوا فيهم القوَّة والجرأة على اقتحام عواصم البلاد والتغلغل في احشاء الممالك بجيشهم القليل وعدتهم الضعيفة وهو من سوء الرأي المبني على الكبرياء الباطلة والغرور المضر فان الاستهانة بالعدو مهما قلَّ وهن في الساسة منشأهُ ما يصيب عقول السياسة في الدول الهرمة من فقدْ قوة التجارب او الاعراض عن مصالح الملك حبًّا باصلاح النفوس وشهواتها وقد مهدت سياسة الروم هذه للمسلمين ان يقتحموا بجيوشهم البلاد اقتحام المجربين في

الحروب العارفين بمواضع الخطر الواقفين على عورات العدو الخبيرين بطرق البلاد فانهم اوغلوا في جنوب الشام في شكل مثلث متقارب الخطوط رأسهُ في البلقاء مع يزيد بن ابي سفيان مما يلي الحجاز وطرفاهُ الواحد في الجنوب الغربي في فلسطين وهو مع عمرو بن العاص والآخر في الجنوب والجنوب الشرقي في حوران وهو مع ابي عبيدة بن الجرَّاح وفي الوسط بميلة الى الغرب ايضاً شرحبيل بن حسنة وهو في الاردن بحيث يمدُّ بعضهم بعضاً من قرب ومن ورائهم يزيد يحفظ عليهم خط الرجوع ويديم النظر في طرق المواصلات . على هذه الصفة دخلت الجيوش الاسلامية الى الشام وافتتح كل امير ما مرَّ عليهِ من البلاد صلحاً او حرباً حتى اذا اخذت الصيحة الروم من كل مكان هبُّوا من غفلتهم هبوب المذعورين وانتبهوا انتباه الغا بين فضرب هرقل البعث على العرب الضاحية بالشام من بهراء وسليح وغسان وكلب ولخم وجذام وهم يومئذٍ حماة البلاد والى الملوك من بني غسان ينتهي القول والعمل فاجتمع لديهِ منهم ومن الروم زهاء مئة وخمسين الفاً فقسمهم و بعث لحرب كل جيش من جيوش المسلمين قسماً منهم بقيادة احد مشاهير القوَّاد"

وقال قبيل ذلك ان امراء المسلمين كتبوا الى هِرَقل امبراطور القسطنطينية وهو في القدس يدعونهُ الى الاسلام او الجزية او السيف فجمع اليهِ البطارقة وكبار القواد وشاورهم في امر المسلمين واشار عليهم بصلحهم فابوا عليهِ الاَّ الحرب وكان مما قال لهم "والله لان تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفهُ مع بلاد الروم احب اليكم من ان يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم" ولما لم يوافقوهُ على رأيهِ اخذ باعداد الجنود والعدَّة وارسل لكل امير جيشاً ليشغل كل طائفة من المسلمين بطائفة من قومهِ . انتهى

والذي نعلمهُ من امر هرقل انهُ كان من اعظم القواد نظَّم جنود الروم ومرَّنهم ودرَّبهم وغزا بهم بلاد الفرس سنة ٦٢١ اي قبل الهجرة بسنة فدوَّخها في خمس سنوات واضطرَّ ملكها الى الهرب وعاد بالغنائم الوافرة ثم قام شيرويه بن كسرى على ابيهِ وقتلهُ سنة ٦٢٨ واصطلح مع هرقل وتبادلا الاسرى واعيدت مملكة الفرس الى حدودها الاولى بعد ان كانت قد غزت بلاد الشام وفتحت دمشق سنة ٦١٣ واورشليم سنة ٦١٤ واستولت على سورية ومصر واسيا الصغرى وكادت تدخل القسطنطينية . وعاد هرقل الى القسطنطينية ظافراً ثم اتى الى القدس سنة ٦٢٩ ورد الصليب الى مكانهِ بعد ما استرجعهُ من الفرس وعاد منها الى القسطنطينية وقد تغيَّرت عقيدتهُ فمال الى مذهب اليعاقبة اما ليردهم الى الكنيسة الجامعة او لاقتناعهِ بصحة مذهبهم وشغل بالمجادلات الدينية عن امور المملكة . ويقول البعض ان خللاً في عقلهِ وشغفاً

بزوجتهِ الثانية التي لم يكن يحلّ لهُ التزوُّج بها صرفاهُ عن امور الملك والاَّ فلو بقي على عزيتهِ الاولى التي ارغم بها انوف الفرس لكان تاريخ العالم غير ما هو عليهِ الآن . اما قول بعض مؤرخي العرب انهُ اسلم سرًّا فلعلهُ محمول على قول مؤرخي الروم انهُ مال الى مذهب اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة (المونوفزيت) واحدث بدعة القائلين بالمشيئة الواحدة (المونوثليت)

ولقد احسن المؤلف في وصفهِ عدل الخليفة الاول وعظيم سياستهِ وثاقب رأيهِ واورد دليلاً على ذلك وصاياهُ للقوَّاد والامراء بالرفق بالامم المغلوبة وتجنُّب كل ما يثير بالمحارب ثائرة الاشجان او يدعو الى مس جانب الانسانية او يخدش وجه العمران . ثم استطرد الى مؤاخذة الامم الاوربية بما تفعلهُ الآن بالامم التي تتغلب عليها كما فعل الفرنسويون في الجزائر والانكليز في الهند والقى تبعة ذلك على مدنيتهم . فعلى مَ تلقى تبعة ما فعلتهُ الجنود المظفَّرة برجال الشام يوم أُعطوا العهد وحُشروا في سراي دير القمر وحاصبيًّا وذبحوا ذبح الاغنام . اللهمَّ ارنا عيوبنا حتى نشتغل بها عن عيوب غيرنا واقنعنا ان العبرة بالنتائج العملية لا بالوسائل النظرية . الاَّ ان المؤلف لم يغفل الموعظة والتذكرة لقومهِ كلما سنحت لهُ الفرصة . اقرأ ما قالهُ عن الالقاب والرتب في الصفحة ١٥٩ وما بعدها واستطرادهُ الى وصف سكان الولايات المتحدة الاميركية الذين اعرضوا عن هذه السفاسف "فنشطوا الى السعي وراء المجد الحقيقي المتأتي عن العمل والعلم حتى بلغوا مكانًا من المجد والقوَّة تحسدهم عليهِ كل دول الارض الآن ولله في خلقهِ شؤُون وللسعادة والشقاء سبيلان يسلك الاول منهما العاقلون والثاني الجاهلون"

وهذا الجزء من الكتاب مقتصر على سيرة الخليفة الاول من الخلفاء الراشدين ابي بكر الصديق رضي الله عنهُ والقائد العظيم خالد بن الوليد وفيهِ ١٨٢ صفحة بقطع المقتطف . والمؤلف على ما يرجى من سعة الاطلاع ودقة النظر وشدَّة الحمية وحبذا لو راجع تواريخ الروم والفرس وقابل تواريخ العرب بها لزيادة التدقيق والتحقيق

كتاب دفع الهم

هو فصول في آداب النفس لايليا النسطوري مطران نصيبين عثر على ثلاث نسخ منهُ حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا في مكتبة الواتيكان برومية فنقحهُ وطبعهُ وقال في مقدمتهِ ان ايليا النسطوري المعروف بابي الحليم ولد في اواخر القرن العاشر وترهَّب في دير القديس ميخائيل بقرب الموصل وصار مطرانًا على نصيبين سنة ١٠١٤ وتوفي سنة ١٠٤٩ في ميافرقين

والكتاب اثنا عشر باباً في كلٍ منها مواعظ وحكم للمؤلف في تحبيب خلة من الخلال الفاضلة المعينة على دفع الهم وتقبيح خلة من الخلال السيئة التي تجلب التعب والغم على صاحبها كالديانة والمعصية والشكر والكفر والتواضع والكبر والرحمة والقساوة والعقل والهوى والمشورة والاستبداد والكرم والبخل والعدل والظلم وبعد كلامهِ امثال واقاويل نفيسة من غيرهِ. والكتاب كلهُ آية في البلاغة وحسن البيان ولقد أحسن حضرة منقحهِ بطبعهِ ونشرهِ . ومع اعترافنا بفضل هذا الكتاب واضرابهِ من الكتب التي تحث على الآداب والفضائل نودُّ ان لا يبالغ في نفعها لان تهذيب الاخلاق امرٌ عملي لا يتم بالقراءة والمطالعة بل لا بدَّ لهُ من تربية عملية يترباها الانسان صغيراً و يربي نفسهُ عليها كبيراً . ولدرهمٌ من العمل خير من قنطار من التعليم

باب المسائل

(١) جائزة تسبيع الدائرة

حيفا . يوسف افندي زعرب . أيوجد جائزة لتسبيع الدائرة اي قسمتها الى سبعة اقسام متساوية لمن يبرهن ذلك بحسب اصول العلوم

ج لا نعلم ولكن الذي يفعل ذلك لا يحرم من الجزاء الادبي . وقد اطَّلعنا على طرق مختلفة لقسمة الدائرة الى سبعة اقسام متساوية بالهندسة فلم نجد منها طريقة صحيحة

(٢) فعل الصابون

ورستر باميركا الخواجه الياس الغز . كيف يعلل فعل الصابون بازالة الوسخ عن الابدان والثياب

ج الصابون ملح مركب من المادة القلوية والحامض الزيتيك او الشحميك الذي يحلّ اليهِ الزيت او الشحم وقت عمل الصابون . اما كيفية التنظيف فمختلف فيها والمظنون اما ان بعض الصابون ينحلُّ بالماء الى مادة قلوية وصابون حامض لا يذوب في الماء وتتحد المادة القلوية بالوسخ وتكوّن منهُ ملحاً يذوب في الماء فتزول عن الثياب . او ان مذوب الصابون يستحلب المواد الدهنية اي يجزئها الى اجزاء صغيرة جداً و يحيط كل جزء منها بغشاء منهُ فيسهل امتزاجها بالماء . هذا اذا كان الصابون متعادلاً اما اذا كان قلوياً قلويتهُ واضحة فالمادة القلوية الزائدة فيهِ تفعل بالوسخ مباشرة فتحولهُ الى ملح يذوب في الماء

(٣) الماس والصوان

ومنهُ . كثيراً ما نسمع ان بعض الماس

يستخرج من الصوّان وقد نظرت حجارة صوّانية في بعض المتاحف وفي قلبها قطع ماس بحجم كبير فهل هي كذلك وما هو اصل الماس

ج كلاَّ بل الذي رأيتموهُ سلكا متبلورة او ما يسمى في سورية بدب الملح اما الماس ففحم متبلور ولا يوجد قلوبًا مجتمعة بعضها مع بعض كالسلكا بل حصى متفرقة . راجعوا ما كتبناهُ عن الماس في المجلدات الماضية من المقتطف فان فيها مقالات ضافية عن اصلهِ ومناجمهِ وكيفية وجودهِ

(٤) الغازولين

ومنهُ . يستعمل الغازولين كثيرًا في هذه البلاد وهو خالٍ من الرائحة فما هي مادتهُ وما هو اسمهُ بالعربي وهل هو موجود في القطر المصري ولاي شيء يستعمل فيهِ

ج هو نوع من البتروليوم اوزيت الغاز فانهُ حينما يستقطر البتروليوم لتنقيتهِ يخرج منهُ مواد مختلفة تسمى باسماء مختلفة وهي السيموجين وثقلهُ النوعي ١٠٠ الى ١١٠ والريغولين وثقلهُ النوعي ٩٠ الى ١٠٠ والغازولين وثقلهُ ٨٠ الى ٩٠ والنفط وثقلهُ ٧٠ الى ٧٦ والبنزين وثقلهُ ٦٢ الى ٧٠ . والغازولين غير موجود في القطر المصري ولكن يجلب اليهِ جلبًا ويستعمل فيهِ للاضاءة وللاشغال في الاوتوموبيل وهو يسمى هنا بالغازولين كما يسمى في اميركا ولا اسم لهُ في العربية لانهُ مادة جديدة لم تكن معروفة عند العرب ولا وجود لها في بلادهم بل قد استحضرت حديثًا من اميركا

(٥) خوف الوحوش من الانسان

ومنهُ يقال انهُ اذا سار انسان في ارض قفر وهجم عليهِ وحش من الوحوش فخلع ثيابهُ وقابل الوحش عاريًا دبًّا على يديهِ ورجليهِ هرب الوحش منهُ فهل ذلك صحيح

ج اذا كان الوحش معتادًا افتراس الناس وكان جائعًا فلا نظن انهُ يهرب منهُ واما اذا لم يكن معتادًا افتراس الناس ولا رؤيتهم على هذه الصورة فلا يبعد انهُ يهرب منهُ . والحكم البات في هذه المسألة وامثالها لا يكون الاَّ بعد التجربة والاستقراء ولا يحتمل ان يجرّب احد ذلك تجربة علمية يبنى عليها حكم

(٦) دود القمح

طرابلس الشام . الخواجه حنا حكيم . في اميون من اعمال لبنان اراضٍ متسعة تزرع حنطةً وحينما يبلغ علو الزرع نحو ثلاث عقد تأكلهُ دودة سوداء صغيرة تشبه دود الحرير في اول ادوارهِ وفي اواخر اذار لا يعود للدود اثر فهل من دواء او واسطة تقي الزرع من هذه الدودة او تمنع ظهورها

ج لا يكفي وصفكم لمعرفة نوع الدودة وطبائعها لينظر في علاجها . ونكرر هنا ما قلناهُ منذ ٢٦ سنة في المجلد الاول من المقتطف

وهو انهُ اذا طال ترداد الحشرات على بلاد وجب ان يختار لزرعها نوع من القمح ينمو بسرعة حتى ان سرعة نموهِ تتغلَّب على فعلها وان تحرث الارض جيدًا ويؤَخر زرع القمح فيها (او يبكر حتى ينمو ويقوى قبلما تظهر) . وعلى كلٍ يجب ان تحرق كعوب القمح بعد الحصاد ثم تفلح الارض ويستأصل العشب منها وتمهَّد. واذا صوّل القمح المعد للزرع ومزج بقليل من الكلس (الجير) صار سريع النمو وتغلَّب على هذه الحشرات واذا ذُرَّ على الارض كلس جديد بعد الحصاد تلاشى منها كثير من زيزان الحشرات واذا ذرَّ عليها رماد في الخريف والربيع اتى بنفع كبير . ونزيد على ذلك الآن ان حرق كل ما في ارض الحنطة بعد الحصاد من خير الوسائل لاهلاك الحشرات منها وذر الرماد فيها . ومما يفيد كثيرًا تعاقب المزروعات فاذا زرعت ارض الحنطة فولاً او بافياء او حمصًا اوعدسًا فالغالب ان دود الحنطة لا يجد لهُ غذاء فيها فيهلك و يستأصل منها

(٧) العقل ومقرهُ

برمَّانا . اسكندر افندي توما ما هو العقل واين مقرُّهُ

ج هوالقوة التي بها ندرك ونحكم ونستدل ونريد ونتصوَّر ونتذكر ونعمل سائر الاعمال العقلية ومقرهُ في الدماغ او في الجسم السنجابي الموجود في الدماغ والحبل الشوكي والعقد السمباثوية . وكنهُ العقل غير معروف كما ان كنه كل الاشياء غير معروف . وقد اشبعنا الكلام على حقيقتهِ ومقرهِ في المجلد الخامس والتاسع من المقتطف

(٨) الضمير

ومنهُ ماهو الضمير وما هي آراء العلماء فيهِ

ج اختلف الفلاسفة في تحديدهِ ولعلماء الفلسفة الادبيَّة منهم اقوال موضوعة لا تقوى على البحث . و يؤْخذ من قول علماء الفلسفة العقلية ان الضمير هو العقل حينما يكتشف الحقائق الادبية . وتجدون كلامًا مسهبًا عنهُ في المجلد السادس من المقتطف في الجزء العاشر والحادي عشر

(٩) نور الاسيتيلين

مصر . امين افندي غالب . لم نعد نسمع شيئًا عن نور الاسيتيلين ولا رأينا استعمالهُ قد شاع كاستعمال النور الكهربائي فهل ذلك لانهُ اغلى من النور الكهربائي

ج كلاَّ بل هو ارخص من النور الكهربائي واسطع نورًا ولكن استعمالهُ في البيوت غير سهل كاستعمال الكهربائية اما في المعامل فقد كثر استعمالهُ ولا سيما في معامل الغزل والنسج لان الالوان تتميز فيهِ كما تتميز في نور النهار واستعمالهُ شائع ايضًا في اضاءة المركبات والدرجات وقد استنبط الالمانيون قنديلاً صغيرًا منهُ ساطع النور جدًا

باب الاخبار العلمية

مأثرة جديدة لسابا باشا

رأى سعادة سابا باشا مدير البوسطة المصرية ان يقلّد المجلات العلمية منَّة لم تُقلّدها في قطر آخر فطلب من الحكومة ان تبقى اجرة العدد من المجلات مليماً واحداً مهما بلغت زنتها فاجابهُ مجلس النظار الى طلبهِ وصار يسهل علينا ان نزيد جرم المقتطف وتبقى اجرة نقله في البريد على حالها . وهذه منَّة يشاركنا في شكرها لسعادتهِ جمهور القراء

جائزة ٢٠٠٠ جنيه

اعلن حضرة المهندس الفاضل خورشيد بك وهبي باشمهندس القناطر الخيرية سابقاً انهُ يعطي الفي جنيه لمن يثبت بالادلة العلميَّة ان المياه تتلف الخافقي (الملاط الهيدروليكي) وانها تخترق جسراً من التراب عرضهُ اربعون سنتمتراً وتصل اليهِ . وجعل معرض التقاضي في المقتطف ثم بعث الينا بمقالة ضافية ضمنها الاسانيد العلميَّة التي يعتمد عليها لاثبات قولهِ وهو ان المياه لا تتلف الخافقي ولا تصل اليهِ اذا كان بينها وبينهُ جسر من التراب عرضهُ اربعون سنتمتراً . وسننشر مقالتهُ ملحقةً بالجزء التالي من المقتطف . اما المقالات التي وردت علينا باقلام حضرات المهندسين مثبتةً ان الماء يتلف الخافقي ويخترق جسر التراب اليهِ فاذا رأى حضراتهم ان ادلتها تثبت بعد نشر مقالتهِ وتعريف مرادهِ بالخافقي فاننا ننشرها والاَّ فلا

مركوني بين القارتين

مضى القرن الماضي وعلماء الطبيعة يفكّرون في تلغراف مركوني وفي ما اذا كان نقل الاشارات الكهربائية بهِ يتعدَّى مسافة مئة ميل او مئتي ميل ولم يخطر لهم انهُ قبل ان يحول الحول الاول من القرن الجديد تنقل الاشارات بهِ الوفاً من الاميال فقد ادَّعى مركوني في اواسط الشهر الماضي ان آلتهُ اوصلت الاشارات الكهربائية المعروفة بتموجات هرتس من بلاد الانكليز باوربا الى نيوفونولند باميركا وقد عاد الى اوربا ليقوي آلتهُ فيها ويجعل اشاراتها تصل الى الولايات المتحدة او غيرها من البلدان الاميركية . ومعلوم ان نقل الاشارات الكهربائية من اوربا الى اميركا بالتلغراف العادي لم يتم الاَّ بعد ان استعمل التلغراف بخمس وعشرين سنة فاذا نُقلت الاشارات الكهربائية بتلغراف مركوني الآن من اوربا الى اميركا لا يكون قد مضى عليها

من حين اشير باستعمالها اكثر من عشر سنوات ومن حين جربها مركوني اكثر من اربع سنوات او خمس ولم يكن يستطيع ان ينقلها حينئذٍ اكثر من ميلين او ثلاثة . واذا سارت المكتشفات العلمية على هذا النمط من السرعة لم تمضِ عشر سنوات اخرى حتى نرى تلغراف مركوني يحيط بالكرة الارضية والفضاء مملوءًا بالاشارات الكهربائية يقرأها كل من عندهُ آلة من آلات مركوني

ضغط النور

كتب الشهير مكسول منذ زمن انهُ "اذا جُمعت اشعة النور وسلّطت على صفيحة رقيقة من المعدن فمن الممكن انها تفعل بها فعلاً ميكانيكيًّا ظاهرًا" وقد حاول السر وليم كروكس اثبات ذلك بآلتهِ المعروفة بالراديومتر فلم يستطع اثباتهُ لان الراديومتر كبير ولدورانهِ سبب آخر غير ضغط اشعة النور . الأ ان الاستاذ ليدو من اساتذة مدرسة موسكو الجامعة اثبت الآن قول مكسول بالامتحان فانهُ صنع راديومترًا سواعدهُ من الاليومنوم الخفيف ووضعهُ في زجاجة كبيرة مفرغة من الهواء وجمع اشعة النور الكهربائي وسلطها عليها بعد ان نزع منها اشعة الحرارة فادارت الدولاب بقوة ضغطها على سواعدهِ فالقوة موجودة ولكنها ضعيفة جدًّا

سبب الشيب

كثر بحث العلماء عن سبب الشيب ولكن لم يعرف سببهُ الحقيقي الأ الآن فقد كتب الاستاذ متشنيكوف الروسي الى الجمعية الملكة الانكليزية يقول "كنتُ ابحث عن سبب الضمور ولا سيما الضمور الذي يصيب الشيوخ فانتبهت الى ضمور المادة الملونة في شعر الشيوخ او زوالها ورأيت بالمشاهدة في الشعر الشائب والذي وخطهُ الشيب ان فاغوسيت الشعر هو الذي يزيل المادَّة الملوَّنة منهُ (الفاغوسيت الخلايا البيضاء التي في الدم) فان هذه الخلايا تخرج من باطن الشعرة الى قشرتها الظاهرة وتمتص الحبيبات الملونة منها (فيبيض الشعر لانهُ يصبح خاليًا من اللون) وتوجد هذه الخلايا بكثرة في الشعر الذي ابتدأ الشيب فيهِ واما الشعر الذي شاب تمامًا فلا توجد فيهِ او تكون قليلة جدًّا . وقد شاهدتها كثيرة في اصول الشعر الذي ابتدأ الشيب فيهِ وهي مملوءة بالمادة الملوَّنة وشاهدتها ايضًا في اصول شعر الكلاب التي شاخت وابتدأ الشيب فيها وهي كثيرة هناك ومملوءة بالمادة الملوَّنة . وبذلك يعلَّل حدوث الشيب في يوم واحد فان هذه الخلايا تتكاثر في الشعر وتلتهم المادة الملونة منهُ في وقت قصير" هذا ويحتمل بعد هذا البيان ان توجد واسطة لاضعاف هذه الخلايا او لمنع تكاثرها في الشعر فيمتنع الشيب

جوائز نوبل

وزعت جوائز نوبل الاربع على مستحقيها في مدينة ستكهلم في العاشر من الشهر الماضي فاعطيت جائزة الطب للدكتور بهرنج وجائزة الكيمياء للاستاذ فنت هوف وجائزة الطبيعيات للاستاذ رنتجن وجائز الآداب للمسيو سلي بردهوم وكل جائزة منها ثمانية آلاف جنيه

وراثة الاخلاق

بحث الاستاذ كارل بيصرن في الف ومئة عائلة منذ ست سنوات الى الآن ليرى هل يرث الاولاد من والديهم الاخلاق العقلية كالذكاء والكياسة والخجل والغضب كما يرثون الصفات البدنية كطول القامة وشكل الراس ولون العينين ولون الشعر فوجد انهم يرثون الاخلاق العقلية كما يرثون الصفات البدنية تماماً

اقزام الاشجار

عرض في معرض غلاسكو اشجار من اليابان من نوع الصنوبر والسرو نسبتها الى سائر الاشجار من نوعها نسبة الاقزام الى الطوال من البشر من ذلك شجرة من الصنوبر عمرها ثلاثون سنة وعلوها ١٥ سنتمتراً فقط وشجرة من السرو عمرها اربعون سنة وعلوها عشرون سنتمتراً فقط . واهل يابان يقصرون هذه الاشجار بالتربية فيقللون غذاءها و يضغطون على سوقها واغصانها حتى يمنعوا نموها

معادن القدماء

ثبت من بحث الاستاذ برثلو ان نحاس الاقدمين كان خالياً من القصدير وهذا يصدق على نحاس اهالي مصر واهالي بابل واشور وفلسطين . وحقق ذلك الاستاذ غلادستون فانهُ حلَّل بعض الادوات النحاسية القديمة التي وجدها الاستاذ بتري في هذا القطر والتي وجدها المسيو سرزك في قصر سرجون ببلاد الكلدان والتي وجدها الدكتور بلس في تل الحسي بفلسطين فلم يجد فيها قصديراً بل قليلاً من الزرنيخ ثم وجد القصدير في الادوات النحاسية الحديثة فانهُ كان يقسَّى بها

والظاهر ان القدماء استعملوا الذهب والنحاس قبل غيرهما من المعادن ثم استعملوا القصدير والفضة واخيراً استعملوا الحديد . ومن الغريب ان الاستاذ برتلو وجد قطعةً من البلاتين في صندوق صغير وُجد في طيبة من عهد الملكة شبنبت بنت الملك بينكي التي عاشت في اواخر القرن السابع قبل المسيح . والظاهر ان الصنَّاع ظنوها فضَّةً فطرقوها بالمطارق . وهذه اول مرة عُلِم فيها ان القدماء استعملوا البلاتين

ترجمة عربيَّة قديمة للانجيل

كتب بعضهم الى النشرة الاسبوعية في بيروت يقول كنت مشتغلاً بنساخة كتيب في تاريخ بطاركة السريان القدماء (اليعاقبة)

فعثرت فيهِ على ما يأتي "البطريرك الخامس والستون يوحنا تلميذ اثناسيوس الجمَّال كان من دير اوسيبونا رسم سنة ٦٣٦ م ووضع عليهِ يدهُ السيد ابرهيم اسقف نصيبين . دعاهُ عمرو بن سعد امير المسلمين وطلب منهُ ان يترجم لهُ الانجيل الى العربية فترجمهُ خدم ثلاث عشرة سنة وتوفي في ١٤ ك ا سنة ٦٤٩ ودفن في كنيسة آمد (ديار بكر)" ثم ذكرت النشرة ما ذكرهُ المطران يوسف الدبس في مقدمة كتابهِ تحفة الجيل وهو "ان اول ترجمة عربية نجد العلماء ذكروها بعد ظهور الاسلام هي ترجمة الاناجيل التي ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقية في السريان الناطرة وجه ٥٩٩ بقولهِ ان عمرًا ملك العرب امر يوحنا بطريرك اليعاقبة نحو سنة ٦٤٠ ليترجم الاناجيل الاربعة من السرياني الى اللغة العربية كما شهد ابن العبري في قسم ٣ من تاريخهِ السرياني ويسميهِ ابن سعد . وذكر هذه الترجمة في المجلد ٢ من تآليفهِ المذكور راس ٤٢ وجه ٣٣٥ قائلاً يوحنا المسمى سدراو من دير اوسابابا تلميذ اثناسيوس رسمهُ ابرهيم اسقف نصيبين سنة ٩٤٢ يونانية (توافق سنة ٦٣١ مسيحية) فهذا بامر عمرو بن سعد ملك العرب ترجم الانجيل من السريانية الى العربية وجلس ثماني عشرة سنة ومات سنة ٩٦٠ يونانية (توافق سنة ٦٤٩ مسيحية) ودفن في آمد"

وعليهِ فقد ترجم الانجيل الى العربية وقتما فتح الشام والمرجح انهُ ترجم قبل ذلك ايضاً كما يستدل من اقوال وردت في اشعار العرب وهي مقتبسة من آيات منهُ . وربما نشرنا مقالة لاحد الادباء في هذا الموضوع

سبب الرؤَى

قرأ السر لودر برنتن مقالة في الجمعية الطبية النفسية قال فيها ان بين الناس فرقاً كبيرًا في قوة الشعور فبعضهم يرى فوق النار السنة زرقاء وبعضهم يسمع للخفافيش اصواتاً لا يسمعها غيرهُ الاَّ ان الرؤَى التي يراها بعض الناس ناتجة عن خلل في ادمغتهم حيث تصل التأثيرات الواردة من الخارج فان الاوعية الدموية التي في الدماغ قد تتقلَّص كما تتقلَّص الاوعية التي خارجهُ فيقلُّ الدم حيث تقلَّصت ويقع الخلل في البصر والسمع والشم والذوق ويرى الناس رؤًى لا حقيقة لها ويسمعون اصواتاً مصدرها في ادمغتهم لاغير ولو عولج بعض مدعي النبوَّة بيودور البوتاسيوم لعدلوا عن دعاويهم ولم يكن لهم شأن يذكر

ركوب الهواء

قال السر جرام مكسيم ان ركوب الهواء صار امرًا ممكناً وان الآلة التي استعملها سنتوس ديمون وسيَّر بها بالونهُ ذهاباً واياباً ضد

الريح جامعة اقصى درجات الخفة والقوة حتى لا يظن انهُ يمكن ان تصنع آلة تفوقها فيهما ثم التفت الى الآلة التي صنعها هو وحاول الطيران بها وهي اثقل من الهواء فطارت قليلاً ثم وقعت وقال انهُ لما صنعها لم يكن صنّاع الآلات يعرفون مزيج الاليومنوم الجامع بين الخفة والمتانة فانهُ خفيف كالاليومنوم ومتين كالحديد فاذا صنعت آلة منهُ مثل آلتهِ الاولى سهل ركوب الهواء بها . وقال المستر ستورت بردس انهُ ما من احد طار في الهواء من نقطة معينة الى نقطة معينة وعاد الى النقطة التي طار منها في وقت معين قبل المسيو سنتوس ديمون وقد كانت سرعة الريح المضادة لهُ حينئذٍ من اربعة امتار الى خمسة في الثانية

البطاطس في البول السكّري

قال المسيو موسه في اكادمية العلوم بباريس ان البطاطس كان يحسب من الاطعمة النشوية التي لا يجوز ان يأكلها المصابون بالبول السكري لانها تضر بهم اما الآن فثبت بالامتحان انهُ نافع لهم غير ضارٍ

ساعة عجيبة

صنع احد الالمان ساعة دقاقة تعد اعجب الساعات التي صنعت حتى الآن وهي صغيرة توضع في اناء من الزجاج حتى تظهر كل اجزائها وتدلُّ على الثواني والدقائق والساعات والايام والاسابيع والشهور والفصول والسنين وصور البروج والشمس والقمر والسيَّارات وشروقها وغروبها ومواقعها بالضبط التام وترى فيها اوجه القمر والكسوفات والخسوفات . و يعلم منها عيد الفصح على اختلاف مواقعهِ ومواقع الاعياد المتغيرة . وفيها اكثر من مئة شخص متحرك و يظهر منها ملاك كان كل ربع ساعة يقرعان جرساً وحينما تنتهي الساعة يظهر عزرائيل و يدل بيدهِ على مينا الساعة و يظهر فوقها ملاك بيدهِ بوق ينفخ فيهِ . وقبل الظهر بخمس دقائق يخرج منها ديك يصفق بجناحهِ ويصيح ثلاثاً الى غير ذلك مما يطول شرحهُ وقد قضى في عملها ثماني عشرة سنة

علاج الجرذان

منيت مدينة لسبون عاصمة البرتغال بالجرذان وضاق السكان بها ذرعاً واخيراً اهتدى اطباء البلدية الى داءٍ مكروبي يميت الجرذان ولا يضرُّ البشر وطعموا بعض الجرذان بهِ واطلقوها فعدت غيرها وانتشر الداء بين الجزذان حالاً فاماتها كلها وفي النية تطهير المراكب بهذا الداء من الجرذان

صوف بغداد

قالت الجرائد الالمانية ان الصوف الوارد من بغداد اجود انواع الصوف الوارد من البلاد العربية ويتلوهُ الصوف الوارد من الموصل

ثم من كردستان وقد صدر من البصرة عام ١٨٩٩ نحو ٣٨ الف بالة ثمنها اكثر من ستة ملايين فرنك . وكل الصوف الذي يجز في بلاد العرب والعراق العربي يرسل الى انكلترا وفرنسا واميركا لان ليس في الشرق كلهِ معمل لغزلهِ ونسجهِ

سديم فرساوس

ذكرنا في الصيف الماضي انهُ ظهر نجم جديد في كوكبة فرساوس وزاد اشراقهُ حتى زاد لمعاناً على المع الكواكب ثم ضؤُل واختفى وقد ظهر على مقربة منهُ سديم اي لطخة منيرة كالغيم الرقيق ورصد هذا السديم في مرصد لك ويركس بامير فظهر انهُ آخذ في الاتساع بسرعة تفوق الوصف لانهُ اذا فُرض انهُ قريب من الارض مثل اقرب النجوم الثوابت اليها فسرعة انتشارهِ اكثر من الني ميل في الثانية من الزمان واسرع ما يعرف من حركات النجوم مئتا ميل في الثانية ولذلك فهذا السديم اقرب الى الارض من النجوم او ان ما يرى من انتشار مادتهِ حادث من انتشار النور فيها

سكان العالم

كان سكان فرنسا في اول القرن الماضي ٢٥ مليوناً فبلغوا في آخرهِ ٤٠ مليوناً وسكان المانيا ٢٠ مليوناً فبلغوا في آخرهِ ٥٥ مليوناً . وسكان روسيا ٤٠ مليوناً فبلغوا في آخرهِ ١٣٥ مليوناً وبعض هذه الزيادة من ضم بلدان اخرى اليهم . وكان الانكليز في السلطنة البريطانية ١٥ مليوناً فبلغوا الآن ٥٥ مليوناً وكان سكان الولايات المتحدة ٥ ملايين فبلغوا ٨٠ مليوناً . وكان الجنس الاوربي كلهُ ١٥٠ مليوناً في اول القرن الماضي فبلغ في آخرهِ ٥١٠ ملايين فيبعد عن الاحتمال ان يفوقهُ جنس آخر من اجناس الناس

اسلوب جديد لعمل الصلب

استنبط رجل الماني اسمهُ جبلر اسلوباً جديداً لعمل الصلب (الفولاذ) يجعل ثمنهُ نصف ما كان اولاً ويجعل صلابتهُ مضاعف صلابة الصلب فيقطع الصلبَ كما يقطع الصلبُ الخشب ويمكن تطريقهُ حامياً وبارداً على حدٍّ سوى . وسيذهب صاحبهُ الى اميركا ليستعملهُ فيها

قرن الفونوغراف

شاع استعمال الفونوغراف في هذه العاصمة حتى صرت تجدهُ في بيوت كثيرة لترديد الاغاني والالحان لكنَّ صوتهُ لا يخلو من خنَّة معدنية وقد اتضح الآن ان سبب ذلك من قرنهِ وانهُ اذا أُبدل هذا القرن بقرنين او وضع داخل القرن قرون صغيرة صار صوتهُ مثل صوت الانسان تماماً خالياً من الرنة المعدنية .

احذية الصمغ الهندي

تألفت شركة في اميركا رأس مالها مليونا جنيه لعمل الاحذية من الصمغ الهندي ويقال ان الاحذية التي تصنعها تفوق الاحذية التي تصنع باليد جودة ومتانة

علاج الاشجار المثمرة

اشدُّ الآفات على الاشجار المثمرة الحشرات القشرية وقد شاهدنا فتكها في جنائن الجيزة في هذه الايام فكادت تتلفها لاهمال الذين يناط بهم امرها علاجها عند اول ظهور الآفة ولزرعهم البطاطا الحلوة تحتها لاضعاف قوتها. وقد قرأنا في السينتفك اميركان الآن انهُ يمكن علاج هذه الآفة بسهولة بان ترش الاشجار بزيت البترول بمضخَّة كبيرة توقع نقط الزيت عليها صغيرة جدًّا ثم ترش بمذوب قلوي كاوٍ كمذوب الصودا الكاوي او البوتاسا الكاوي فان الزيت يميت الحشرات. ثم يأتيهِ المذوب القلوي و يعدّلهُ ويمنع ضررهُ عن الشجر ويصير من مزيج الزيت والصودا مادة صابونية تستفيد الاشجار منها لانها كالسماد لها

نيازك نوفمبر

شوهدت نيازك نوفمبر في كليفورنيا باميركا وعُدَّ منها بين الساعة الرابعة والخامسة صباح الخامس عشر من نوفمبر ٢٩٧ نيزكاً وجملة ما شوهد منها من مكان واحد ٦٦١ وكان خمسون منها مثل المشتري لمعانًا واثنان كلٌّ منهما المع من الزهرة عشرين ضعفًا واربعون المع من المشتري ونحو عشرين لامعة مثل الشعرى وكان لونها الغالب الابيض لكن بعضها ضارب الى الخضرة او الحمرة او الصفرة

اعتصاب الصنَّاع

اعتصب صنَّاع خياطي الثياب الافرنجية في القاهرة واضربوا عن العمل ما لم تزد اجورهم ورئيسهم في ذلك رجل اسمهُ الدكتور بستس. ثم عادوا الى اعمالهم بعد فوز وهمي لان ما زيد في اجورهم لا يوازي ما خسروهُ ايام العطلة. ولعلَّهم لا يدرون ان اول اعتصاب ذكرهُ التاريخ جرى في القطر المصري حينما فشا فيهِ الطاعون سنة ١٣٤٨ للميلاد فقلَّ العمال كثيرًا واعتصب بقيتهم على رفع اجورهم. وغنيٌّ عن البيان ان علماء الاقتصاد متفقون كلهم او اكثرهم على ان اعتصاب العمال يضرُّ بهم و بغيرهم ويؤول الى تنقيص اجورهم لا الى زيادتها وان لزيادة الاجور اسبابًا اخرى اهمُّها النجاح المستمر في الاعمال. واذا فشا داء الاعتصاب في بلاد وزيدت اجور العمال كلهم فيها فاكثر الزيادة من اموال الفقراء لا من اموال الاغنياء اي من اموال العمال انفسهم وهم الذين يشعرون بها واما الاغنياء فلا يشعرون بها. وسنوضح ذلك بمقالة مسهبة في جزء تالٍ

فهرس الجزء الاول من المجلد السابع والعشرين

١ رجال الاعمال والاموال (مصوَّرة)
٩ عمران دمشق . لمحمد افندي كردعلي
١٧ الطبع والعقل في الشرق والغرب . لاسعد افندي داغر
٢٢ مسئلة اصولية . للشيخ سليمان العبد
٢٤ الشعراء المحافظون والشعراء العصريون . لنجيب افندي شاهين
٢٨ جزيرة مدله . لزكي افندي حاتم
٣١ طوائف الناس . (مصوَّرة)
٣٨ منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهر خير الله
٤٤ احتفال برتلو وخطبتهُ . (مصوَّرة)
٧٤ فائدتان طبيتان . للدكتور ابرهيم افندي شدودي
٥٧ عروسة النيل

٦٤ باب المراسلة والمناظرة * انتصاب العمال . وساوس لا هواجس . الحقيقة . اظهار حقيقة
١٣ باب تدبير المنزل * جني لند (مصوَّرة) . ترياق اسموم . تنظيف كفوف الجلد . طبخ الديك الرومي . آداب السيدات . صحة الامهات
٨٠ باب التقريظ والانتقاد * تفسير الفاتحة . اشهر مشاهير الاسلام . دفع الهم
٨٦ باب المسائل * جائزة تسبيع الدائرة . فعل الصابون . الماس والصوان . الغازولين . خوف الوحوش من الانسان . دود القمح . العقل ومقرهُ . الضمير . نور الاسيتيلين
٨٩ باب الاخبار العلمية * آثرة جديدة لسابا باشا . جائزة الفي جنيه . مركوني بين القارتين . ضغط النور . سبب الشيب . جوائز نوبل . وراثة الاخلاق . اقزام الاشجار . معادن القدماء . ترجمة عربية قديمة للانجيل . سبب الرؤى . ركوب الهواء . ساعة عجيبة . علاج الجرذان . صوف بغداد . سديم فرساوس . سكان العالم . اسلوب جديد لعمل الصلب . قرن الفونوغراف . احذية الصمغ الهندي . علاج الاشجار المثمرة . نيازك نوفمبر . اعتصاب الصناع